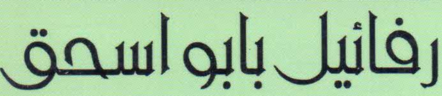
مدارس العراق

قبل الاسلام













اتسعت رقعة الدولة فازدادت المكاتب وكثرت المدارس وتعددت المعابد. فوجب على جدودنا ان يقيموا معاهد منظمة لتعليم أولادهم العلوم الكافية ليتولوا الأعمال الإدارية. بل قد الزموا أبنائهم على الذهاب اليها وأعدوا مدرسين يديرون دفتها ويعلمون تلاميذها المعارف الكثيرة.

لقد تعلم تلاميذ مدارس العراق أصول الحساب وعرفوا إشارة الجمع والطرح والضرب والتقسيم. ودرسوا الكسور وكيفية رفع الاعداد الى القوى. وعثر على لوح في مدينة أور يرتقي تاريخه إلى (٢٣٠٠ ق.م) يشير الى المام البابليين باستخراج الجذور التربيعية والتكعيبية. وتوصلوا الى معرفة الاشكال الهندسية ولا سيما المثلث والمستطيل والمربع وشبه المنحرف.

لقد أقام نصارى الحيرة مكاتب ومدارس ولا سيما في جوار بيعهم وبرتهم أو في داخلها يعلمون فيها أبناءهم العربية والآرامية. واشتهر اكثرها اشتهاراً لا مزيد عليه. فأرسل الملك يزجرد الأول ابنه بهرام جور (المتوفي سنة ٤٣٨م) الى الحيرة فتهذب فيها وبرع في العلوم العربية وفن الموسيقى.

ISBN 1900-700-47-6

9 781900 700474

دار الوراق للنشر .. لندن

Alwarrak Publishing Ltd.

U.K.
56 Gloucester Road,
Suite 500,
London SW7 4UB. UK
Tel.: 0044 208 723 2775
Fax: 0044 207 581 9213

LEBANON
Hamra St. Rasamni Bldg.
Tel.: 961 1 750054
Fax: 961 1 750053
P.O.Box: 113-5182
Beirut - Lebanon

www.alwarrakbooks.com
warrakbooks@hotmail.com

مدارس العراق

قبل الإسلام

مدارس العراق

قبل الإسلام

رفائيل بابو اسحق



* اسم الكتاب: مدارس العراق قبل الإسلام.

* المؤلف: رفائيل بابو اسحق.

* الطبعة الأولى لشركة دار الوراق للنشر المحدودة. لندن: 2006.

* تصميم الغلاف: جبران مصطفى.

* صورة الغلاف: أختام أسطوانية وألواح طينية.

* الناشر: شركة دار الوراق للنشر المحدودة. لندن.

Iraqi School pro Islame

By: R. B. Ishaq

First edition in UK by Alwarrak Publishing Ltd. 2006

warrakbooks@hotmail.com

ISBN: 1 900 700 47 6

التوزيع

Alwarrak Publishing Ltd.
Suite 500, 56 Gloucester Road,
London SW7 4UB. UK
Fax: 0044-207 581 9213
Tel: 0044 208-7232775
warrakbooks@hotmail.com

الفرات للنشر والتوزيع
بيروت - الحمرا - بناية رسامني - طابق سفلي أول
ص. ب 113-6435 بيروت - لبنان
هاتف: 00961-1-750054
فاكس: 00961-1-750053
e-mail: info@alfurat.com

المحتويات

مقدمة

لمدارس العراق قبل الإسلام ذكر جليل في التاريخ لا يغرب عن بال المتأدبين وأرباب المطالعة. فقد كانت في عهدها رياضاً تفوح من أزهارها نسمات العلوم وغدراناً عذبة يتدفق من مناهلها زلال المعارف. فعلم في غرفها مدرسون افاضل ودرس في ساحاتها أساتذة نوابغ عرفوا بالفضل والفضيلة. فنبة في دروسها عدد عديد من الفلاسفة والعلماء. وظهر في صفوفها مئات من الأدباء والكتاب الذين لا تزال مصنفاتهم إلى اليوم مرجعاً للقاصي والداني.

شاد جدودنا دعائم المدارس ورفعوا قباب الكليات. ثم جدوا في اعلاء منازلها فتقدمت تقدماً مطرداً وسارت سيراً حثيثاً في سبيل الارتقاء حتى أصبحت على تمادي الزمن كعبة القصاد ومحط رجال المعارف. وكفانا فخراً إذ ان أول مدرسة «منظمة» قد بنيت في بلادنا وأن أول كتابة «واضحة» وجدت في أقطارنا. وقد ذكر المؤرخون استطراداً هذه المدارس واثنوا على تلك المعاهد. فطالعناها في مظانها العديدة وبذلنا الجهد لاخراجها إلى حيز الوجود بل تجشمنا المشاق وسهرنا الليالي الطوال باحثين عنها مفتشين عن كل شاردة وواردة لانجاز ما قمنا به خير قيام.

وها نحن أولاً نبحث في مطاوي هذا الكتاب عن مدارسنا قبل الإسلام. فنتكلم عن مؤسسها وعما بذلوا من الهمم في طريق

نجاحها. ونذكر مناهجها وما قرأ تلاميذها على مدرسيها. ثم نعدد اشهر من نبغ في صفوفها وأفضل ما حبروا من الأسفار حتى أخنى عليها الدهر واستأصل آثارها.

هذا وقد تحرينا في كل ذلك «التحقيق والوضوح والإيجاز» مشيرين إلى المراجع معتمدين على أصدق الكتب. وحسبنا من مؤلفنا هذا خدمة أبناء وطننا الأعزاء.

بغداد: 1955/3/25

رفائيل بابو إسحق

الفصل الأول

التدريس في العراق القديم

التدريس في العراق القديم

المدرسة العراقية الأولى:

في مطاوي العصور القديمة وبين أحضان القرون الماضية برزت إلى الوجود المدرسة العراقية الأولى. فناهزت الإدراك بعدما كانت طفلة. وتدرجت في معارج الكمال بعد نهضات متعاقبة. ثم اشتد ساعدها وطفقت تبث روح النخوة في أبنائها يوم تبسطوا في الأقطار وتسيطروا على مرافق الحياة.

اتسعت رقعة الدولة فازدادت المكاتب وكثرت المدارس وتعددت المعابد. فوجب على جدودنا إن يقيموا معاهد منظمة لتعليم أولادهم العلوم الكافية ليتولوا الأعمال الإدارية. بل قد الزموا أبناءهم على الذهاب إليها[1] وأعدوا مدرسين يديرون دفتها ويعلمون تلاميذها المعارف الكثيرة.

إن أقدم مدرسة (منظمة) في العالم شيدت في بلادنا في عهد حمورابي (1792 ـ 1750ق.م)[2] في مدينة سبار[3]. وقد تعلم في صفوفها الاحداث جميع العلوم المعروفة في تلك الأزمنة حتى

(1) Mackay (D): The Ancient Cities of Iraq. (Baghdad, 1926; p. 21).

(2) Scheil (J.V): Une Saison de Fouillrs a Sippar. (Le Caire, 1902; p. 30-35).

(3) تقع مدينة سبار في غربي مدينة المحمودية وهي اليوم اطلال (أبو حبة).

أصبحت كوارة امتص منها جدودنا كوثر العلوم والفنون ونبراساً بدد غياهب الجهل من البلاد. ولا عجب في كل ذلك إذ تعهدها أساتذة عديدون ودرس في صفوفها معلمون أفاضل. قال پراستد في كتابه العصور القديمة: «ورأى البابليون إن المدارس ضرورية لتربية الشعب واعداد الشبان لتولي أمر الكتابة في المحال التجارية الكبرى. وقد وجد الاثاريون أثار مدرسة في اطلال بابل منذ عهد حمورابي ومن تلك الآثار ألواح الاجر التي كان الطلبة من الجنسين يكتبون عليها الفروض المدرسة منذ أربعة آلاف سنة»[1].

إن أول مدرسة (منظمة) في العالم أُنشئت في مدينة سبار كما إن أول كتابة وجدت في أقطارنا في مدينة ارك أو الوركاء[2] إذ اكتشف في كتاتيبها اقدم كتابة في تاريخ الإنسان في أيام الشعريين[3]. ففي نحو سنة (3500ق.م) كان تلاميذ المدارس العراقية الأولى يدونون الكتابة الصورية وهم يرسمون صور الأشياء المادية المألوفة على ألواح الطين الطرية بقصبة أو خشية مستدقة النهاية أو عظم مدبب. واقتصرت في أول اطوارها على الرسوم البسيطة والاعداد بهيئة دوائر ونقط. وأخذت تلك الاشكال الصورية تتطور وتتعقد في العصور التالية فتكونت مجموعة من العلامات تستعمل للتعبير عن المعاني والأقوال

(1) العصور القديمة لبراستد تعريب داود قربان (بيروت 1936) ص 100.

(2) مدينة ارك أو الوركاء تقع اليوم في نحو أربعين أو خمسة وأربعين ميلا من شمال غربي الناصرية.

(3) وافى الشمريون أو السومريون من الشرق مرتادين ربوع الاهوار والمستنقعات عند مصب الفراتين حتى نزلوا جنوب سهل شنعار. وشادوا دعائم حضارة تعود إلى الألف الرابع قبل الميلاد. ولم يتوصل الآثاريون إلى تعيين موقع شنعار تعييناً مدققاً وان غلب القول على أنه أرض بابل. وقد وردت هده الكلمة في التوراة (سفر التكوين 10: 10 و14: 9. وسفر اشعياء 11: 11. وسفر دانيال (1: 2...).

والأفكار[1]. ثم تطورت شيئاً فشيئاً فصارت علامات مختصرة تعبر عن مقاطع. ثم ابتعدت تلك الصور عن هيئتها الطبيعية باستخدام قلم مثلث الرأس فاصبحت الكتابة ذات نهايات ورؤوس تشبه المسامير أو الاسافين فسميت (الكتابة المسمارية). ومنذ بداءة الألف الثالث ق. م. استخدمت الكتابة المسمارية في شؤون الحياة كافة. واستعملت في جميع المعاملات الحكومية والتجارية وانتشرت في معظم أقطار الشرق الادنى وظلت معروفة في مدارس العراق حتى أوائل التاريخ الميلادي.

سطر الشمريون (السومريون) والاكديون والكلدانيون والأشوريون كتاباتهم بالخط المسماري. وكان تعليم هذه الكتابة من أصعب المهن لأنها مؤلفة من مجموعة اشارات تعد بالمئات وكل إشارة منها تشبه المسمار أو الصفين الذي يستخدم لشق الخشب. وترسم هذه الاشارة رسماً أفقياً أو عمودياً أو مائلاً. وكل مجموعة من هذه الاشارات تدل على كلمة أو على حرف أو على هجاء. فكان على الكاتب أو الدارس أن يقضيا وقتاً طويلاً ويبذلا جهداً كبيراً لاتقانها. ولهذا كان عدد المتعلمين إذ ذاك قليلاً وأغلبهم من الكهان ورجال الحكم ومن تحت امرتهم إدارة الحكومة والدور التهذيبية. بيد أن اللغة الآرمية[2]

---

(1) الرافدان لسيتون لويد نقله إلى العربية طه باقر وبشير فرنسيس (بغداد 1943) ص 16 و18. ووادي الرافدين مهد الحضارة للسر ليونارد وولي تعريب أحمد عبد الباقي (مصر 1948) ص 31 و33.

(2) اللغة الآرمية إحدى اللغات السامية. ولا نجرؤ ان تبين العهد الذي ظهرت فيه كتابتها. ويؤيد المؤرخون إن الملوك الآشوريين قلدوا الآرميين مناصب الكتابة في دواوين مملكتهم. فكانوا كتبتهم ومسجلي وقائعهم وحافظي أخبارهم. واللغة الآرمية الشائعة اليوم على لهجتين أو لغتين: اللغة الآرمية الشرقية وهي الكلدانية واللغة الآرمية الغربية وهي السريانية.

في مطاوي المائة الخامسة عشرة ق.م. اخذت تنتشر في مدارس الأقطار العراقية فتغلبت على اللغة المسمارية وأصبحت لغة تجارة وأدب. وقد تعلمها الناس لسهولتها وسذاجتها وطفقوا يستعملونها في شؤونهم ويختزلون كتاباتهم المسمارية. فوجب على كل كاتب أن يتقن الكتابتين معاً. ثم شاعت وذاعت في آسية الصغرى وسورية وفلسطين وبلاد العرب الشمالية. وبلغت أوج إتساعها في أيام سبي بابل (586ق.م) إلى ظهور الإسلام[1].

ونزيد على ذلك إن البابليين كانوا يعظمون صناعة الكتابة كما كانوا يحترمون من يتقنها كل الاحترام. وقد وجد الآثاريون آجرة في انقاض إحدى المدارس سطر عليها هذه العبارة: «من يتفوق في الكتابة على الاجر يتألق نظير الشمس»[2]. فلا ريب أن الكثيرين من شبان بابل قد دبت في قلوبهم محبة الكتابة وهم ينسخون هذا المثل وغيره. بل ولا ريب إن معظمهم شرعوا يجدون في تعلمها ويجتهدون في إتقانها ويسعون لنشرها في أرجاء الوطن.

في ربوع العراق رأى الدرس الأول نور الحياة. وبين جدران معابده تعددت أنواع دروسه. وفي بقاع بلدانه شيدت أول مدرسة منظمة في العالم. وفي ساحات مدارسه خفقت ألوية العلوم والمعارف.

المدرس العراقي الأول:

كان الكاهن العراقي أول مدرس في المدرسة العراقية. وهو يدعي

(1) تاريخ نصارى العراق لرفائيل بابو اسحق (بغداد 1948) ص 8 و38. وخلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية للكردينال اوجين تسران تعريب المطران سليمان الصائغ (الموصل 1939) 150.

(2) العصور القديمة، ص 100 ـ 101.

أنه يستمد المعرفة من الإله (نبو) Nabû مخترع الكتابة وسيد المكتبات المقدسة وإله التعليم والرسائل. ولهذا وقف في معبده حجرة تضم مجموعة من الألواح تدعى (خزانة كتب المدرسة) ليطالعها تلاميذه. وهناك ما عدا هذه الخزانة المدرسية حجرة أوسع يخزن فيها مجاميع ألواح يسطر على صفحاتها مدونات الرقي والكهانة والفال وكتابات النصوص الدينية والسحرية[1].

وأثبت اليوم علماء البحث والتنقيب إن الكلدانيين سكان وادي الرافدين دجلة والفرات هم أسبق الأقوام إلى وضع الكتابة على طريقة الاهجئة أو المقاطع. ثم ما عتم إن انتشر اسلوبهم بين اظهر الأشوريين لسهولته فاستطار بين الأجيال المنبثة من شمالي أرمينية وشرقيها. ثم بين الأمم المتوطنة ديار ماذية وشوشن وفارس. ولم يزل في انتشار وامتداد وعيار حتى عصور النصرانية الأولى[2].

ما كان أحلى جلوس المدرّس الأول على الحصير المفروش على حضيض المعبد وقد أحاط به التلاميذ إحاطة السوار بالمعصم وهم جالسون القرفصاء يصغون إلى إلقائه[3]. ما أرق نغمات ذلك الدرس الأول المنتشرة في أنحاء الهيكل وما أطرب صداها على الأسماع! فكانت نظير همسات روحية تصدرها النفوس فتقع على القلوب برداً وسلاماً.

قام الكهان بصناعة التدريس فكانوا يعلمون التلاميذ بادئ بدء قراءة الإشارات البسيطة ودرس أصواتها المختلفة. ثم يدرسونهم معنى

---

(1) خزائن الكتب القديمة في العراق لكوركيس عواد (بغداد 1948) ص 42.

(2) مجلة لغة العرب للأب انستاس ماري الكرملي في بغداد 2: 425.

(3) Budge (E.A.W.) Babylonian Life and History (London. 1925; p. 198).

مجموعة الإشارة حتى يتعلموا التعابير والجمل السهلة. وبعد ذلك يعلمونهم قواعد الصرف والاعراب. وقد عثر المنقبون على ألواح مدرسية سطر على صفحاتها الإشارات الدالة على الأصوات ولكل إشارة صوت خاص. وعلى ألواح أخرى كتب عليها الإشارات الدالة على المعاني.

أما طريقة تعليم القراءة فكان المعلمون يكررون على تلاميذهم الكلمات التي يلقونها عليهم. ثم يمرنونهم على كتابتها في الالواح الطينية مبتدئين بكتابة أسماء الآلهة والممالك والمدن والأنهار والنجوم والكواكب والطيور في الاشجار والاسماك والمواشي وغيرها. ثم يدربونهم على كتابة الأفعال وتصاريفها ثم على تمارين القواعد الصرفية والنحوية[1].

وكان الدفتر الذي يكتب فيه التلميذ تمارينه المدرسية آجرة ملساء يستطيع أن يمحو ما سطره عليها بشظية من حجر أو خشب. وكان بقلمه يرسم على الآجرة صفوفاً من الاسافين المتعددة ولكن كلا منها مستقل عن الآخر لا اتصال بينها. وبعد أن يتقن التلميذ رسم الأسافين مفردة يكلفه معلمه عملاً أرقى وهو تركيب الاسافين المفردة معاً بحيث يتألف منها العلامات الرمزية. ومتى مهر في ذلك يكن قد بلغ التهذيب وأخذ يكتب كلمات كاملة ويحبر جملاً بسيطة ثم جملا مركبة[2]. وقد عثر على بعض الدفاتر من الألواح الطينية على أحد وجهيها كتابة المعلم النموذجية ومحاولة الصبيان تقليدها على الوجه الآخر[3].

---

(1) Une Saison de Fouilles a Sippar. (p 31-35, 46-48).

(2) العصور القديمة ص100.

(3) وادي الرافدين مهد الحضارة ص61.

لقد بلغت إلينا ألواح كثيرة من الطين وهي منقوشة بتمارين المبتدئين من طلاب الكتاتيب يستطيع المرء أن يتبع فيها الخطوات التي يمر بها التلاميذ في تدرجهم إلى معرفة فن الكتابة. فكانوا بعد اتقانهم قسماً مهماً من العلامات المسمارية يدرسون شيئاً من تصاريف الأفعال وتراكيب الجمل. وكان يجب على المعلم ان يمرن تلاميذه على نوعين من النحو على قواعد النحو الشمري والنحو الاكدي لأن كلتا اللغتين كانتا تستعملان في البلاد. وبعد ذلك يدرسهم الرياضيات وأصول الكتابة كأنواع الصكوك وديباجات الرسائل وشيئاً من أصول المعاملات المالية. وقد استعمل التلاميذ الطين لكتابة المعاملات كافة. وكانوا بعد الانتهاء من الكتاب يطبخون لوح الطين أو يكتفون بتجفيفه فقط. واستعملوا الحجر باختلاف أنواعه لتدوين الأشياء الدينية كنحت التماثيل والأنصاب التاريخية المهمة.

كانت مهنة التدريس شاقة إذ كان الخط المسماري مؤلفاً من عدة مئات من العلامات. ولامرية أن اتقان أشكالها وأصواتها ومعانيها يحتاج إلى درس طويل وجهد كبير.

أنواع المعاهد العلمية:

لا شك إن الباعث الأكبر على إنشاء المدارس ديني ولهذا اتخذت جميع الشعوب في مختلف العصور أماكن العبادة للتدريس وقام رجال الدين يهذبون التلاميذ. فقد اتخذ العراقيون المعبد مكتباً للتعليم واستخدموا رجال دينهم في مصلحة التأديب ونشر العلوم على انواعها. وإذا لا يستوعب المعبد عدد التلاميذ يلحقون به غرفة أو غرفاً فتصير على تمادي الزمن مدرسة أو كلية يدرس في صفوفها المناهج العلمية. فكانت المعاهد العلمية إذ ذاك كتاتيب فمدارس

أولية فابتدائية وكان معظمها في المعابد. ثم تقدم بعض هذه المعابد فاصبحت مدارس ثانوية أو كليات وكان اغلبها في المدن المهمة خارج المعبد أو بجواره.

ومن البديهي أن تقدم التدريس في العراق لم يكن على درجة واحدة. فان هناك مدارس محلية اختلفت باختلاف العنصر المتغلب. وقد توحدت أيام خضع وادي الرافدين إلى العنصر السومري إذ بتوحيده البلاد سياسياً ساعد على توحيد شعور سكانها[1]. فكثرت الكتاتيب وانتشر التعليم في عهد حمورابي (1792 ـ 1750ق.م) يوم استعملت الكتابة في جميع المعاملات الحكومية والتجارية. ثم اتسعت رقعة الملك فكثرت المكاتب المنظمة ثم فتح في داخل كل معبد كتاب أو مكتب للأولاد ليتعلموا مبادئ الدين والقراءة والكتابة ومتى يصبح الطالب واقفاً على كل ذلك يدخل المدارس الابتدائية وبعد تضلعه فيها من المعارف المعروفة في تلك الآونة يحق له أن ينخرط في سلك المدارس الثانوية أو الكليات وهو يدرس على أساتذتها الطب والقوانين والشرائع. ومن أراد دراسة العلوم الدينية والسحر فعليه أن يدخل صف الكهان. وكانت مدة الدراسة فيه عدة سنين. ومن أراد أن يتقن اللغة واصولها وآدابها لا يقيد بمدة[2].

هذا ولم تكن يومئذ المدارس المناهل الوحيدة لاقتباس العلوم والمعارف بل كان هناك من انهى الدروس فيتابع الدراسة على أساتذة

---

(1) وادي الرافدين مهد الحضارة ص20.

(2) Delaporte (L): Les Civilisations- Babylonienne et Assyrienne. (Paris, 1923; p. 226-236, 393). Babylonion Life and History, (p. 199).

راجع في هذا الصدد: وادي الرافدين مهد الحضارة ص61 و80 و82 و84

وشيوخ أو في مجالس العلم واندية الأدب وخزائن الكتب المنتشرة في المعابد.

مناهج الدروس:

أما مناهج الدروس التي تتلقى في دوائر تلك الكتاتيب والمدارس فكانت علوم الدين واللغة وما يتصل بها. والعلوم الرياضية بانواعها من الحساب والهندسة والمساحة وعلوم القوانين والتقاويم والجغرافية والتاريخ والفلك والموسيقى والرسم.

كان التلميذ يتعلم في المدارس الابتدائية أصول الدين والكتابة والقراءة. ومبادئ العلوم الرياضية. وكان يفرض على البنت ان تتعلم الموسيقى والغناء في المعابد تدربها على ذلك الكاهنات.

وكان التلميذ يدرس في المدارس العالية اللغة بقواعدها وأدابها وقوانين البلاد وجداول أسماء المدن والممالك والفتوح التي قام بها الملوك. ثم يتمهر في علم الفلك والطب والشرائع والعلوم الرياضية العالية.

لقد تعلم تلاميذ مدارس العراق أصول الحساب وعرفوا إشارة الجَمع والطرح والضرب والتقسيم. ودرسوا الكسور وكيفية رفع الاعداد إلى القوى. وعثر على لوح في مدينة اور يرتقي تاريخه إلى (2300ق.م) يشير إلى المام البابليين باستخراج الجذور التربيعية والتكعيبية. وتوصلوا إلى معرفة الاشكال الهندسية ولا سيما المثلث والمستطيل والمربع وشبه المنحرف. ووقفوا على حجوم بعض المجسمات وتركوا لنا كتباً مدونة على الطين سطروا على صفحاتها تمارين هندسية وحلولها.

وسجل تلاميذ العراق في مدارسهم أعمال الأمراء والملوك ودونوا أخبار الحملات الحربية وملخص الحوادث. وحبروا الصلوات والأدعية والقطع الادبية. وقد وردت إلينا نماذج من الآداب الشعرية والبابلية ونظموا قصة الخليقة شعراً. وكان الشعر البابلي موزوناً على بحور خاصة غير مقفى فهو يضارع الشعر المرسل الانكليزي.

ضبط تلاميذ العراق القديم فصول السنة والأوقات والمواسم. ووقفوا على سير الكواكب وحالات ظهورها وقسموا الدائرة إلى 360 درجة. وبرعوا في استعمال العقاقير والادوية وإجراء العمليات الجراحية. واتقنوا فنون البناء والنحت وتركيب الأصباغ في الصناعة والريازة[1].

تلك كانت مناهج الدروس لدى العراقيين قبل الميلاد ونستطيع ان نقسمها إلى مناهج الكتاتيب ومناهج المدارس ومناهج العلوم العالية أو الكليات. وإليك الآن خلاصة ما كانوا يدرسونه:

1 - **العلوم الدينية**: أنواع العبادات والأناشيد أو قصائد الخليقة وعلاقة الإنسان بالآلهة وأعمالهم وصلواتهم ومزاميرهم. وعواقب الخطيئة والإنسان بعد الموت وذهاب الميت إلى عالم الأموات.

2 - **العلوم الادبية**: اللغة والتصريف والنحو والعروض والأخبار والاساطير عن حوادث التكوين والخليقة وقصة الآلهة عشتار

---

(1) Jastrow (M): The Civilization of Babylonia and Assyria (Philadelphia and London, 1915; p. 22, 259-282, 427-474, 494-496).
Baikie (J): The Life of the Ancient East. (London, 1923; p. 225-260).
Babylonian Life and History. (p. 77-97, 120, 159, 186-218).
Les Civilisations- Babylonienne et Assyrienne. (p.125, 151-263, 322-395).

والملحمة المعروفة بقصة جلجامش (كلكامش) التي ورد فيها ذكر الطوفان وخرافة اتانا الذي حمله النسر إلى السماء.

3 ـ **العلوم الرياضية**: الحساب والهندسة والفلك والغناء والموسيقى والرسم.

4 ـ **العلوم الاجتماعية**: التاريخ والجغرافية والتقاويم والقوانين والشرائع والتجارة.

5 ـ **العلوم العقلية**: علم الكلام[1] وعلم ما وراء الطبيعة والطب والكيمياء ومعرفة الخلط والأحجار الكريمة والزجاج.

6 ـ **العلوم الأخرى**: السحر والتنجيم وتفسير الاحلام والزراعة.

(1) قال ابن خلدون في مقدمته «طبعة بيروت ص458» عن علم الكلام: «أنه علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالادلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة». وهو علم اللاهوت عند النصارى.

الفصل الثاني

مدارس العراق القديم

مدارس العراق القديم

انتشرت معاهد التعليم في العراق القديم وتعددت مناهج التدريس فيه. بيد أن الاثاريين لم يتوصلوا إلى معرفة مواقعها كلها كما أن المؤرخين لم يميزوها عن خزائن الكتب. وقد ذكروها استطراداً بدون ان يدونوا أسماء من أقام دعائمها أو من نبغ في صفوفها. وها نحن أولاء نتكلم في ادناه عن اشهر المدارس التي اتيح للمنقبين أن يكشفوا النقاب عنها.

مدرسة سبار (أبو حبة)

تقع مدينة سبار (Sippar) في غربي المحمودية وتبعد عن بغداد زهاء عشرين ميلا وهي اليوم اطلال (أبو حبة). وقد شيدت في ضفة الفرات الشرقية قبل أن يغير هذا النهر مجراه[1]. وعظم شأنها في عهد الشمريين وفي أواخر المملكة البابلية. وقد أرصدت لشمش إله الشمس وجدد هيكلها ترام سن ملك أكد نحو سنة (2600ق.م)[2]. ووافى ذكرها في التوراة باسم سفروايم[3].

وفي سنة (1878 ـ 1879م) نبشت في روابي سبار بعثة انكليزية

---

(1) The Ancient Cities of Iraq. (p.15).

(2) Thompson (R.C): History and Antiquities of Mesopotamia, (Baghdad, 1918; p. 52).

(3) سفر اشعياء 36: 19 و37: 13. وسفر الملوك الثاني 17: 24 و18: 34.

برئاسة هرمزد رسام الموصلي (المتوفى سنة 1911)[1]. فوجد مئات من الألواح المكتوبة وعدداً كبيراً من الرقم الاثارية. ثم عاد ونقب فيها ثانية في سنة (1881 ـ 1882م). وقد عد السر واليس بج (W. Budge) الألواح التي استخرجت من هذا الموضع فكانت زهاء (130000) لوح[2]. قال المستر هرمزد رسام: «في أثناء ثلاثة اشهر من سنة (1881م) وقفنا على غرف مختلفة تحتوي عدداً عديداً من ألواح الطين المكتوبة ولكنها غير مطبوخة تنسحق عند تعرضها للهواء. فطبخناها محافظين عليها من الدمار. ولسوء الحظ إن عدداً كبيراً منها قد تلف إذ كانت مكدسة كوماً فوق كوم»[3].

ومما تفتخر به إن أول مدرسة «منظمة» في العالم بنيت في هذه المدينة العراقية القديمة. وقد وقف عليها الأب النقاب فنسان شيل في شتاء سنة (1891م). وحبر فصلاً ضافي الاذيال في سفره (موسم تنقيبات في سبار) الذي طبعه المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة سنة (1902م). فاودع بين دفتيه صور ألواح مدرسية عديدة وادرج فيه جدول علامات الكتابة ومقاطع لغوية وموازين تصريف الافعال

---

(1) ولد هرمزد ابن القس انطون رسام في الموصل عام (1826م). ولما بلغ اشده ارسله أهله إلى لندن ليتلقى العلوم وطفق يجد في درس الآثار حتى اصبح من ائمة زمانه في معرفة التاريخ القديم. فرافق الآثاري المشهور السر أوستن هنري لايارد للوقوف على الآثار العراقية. وفي سنة (1847م) عاد إلى انكلترة ليتضلع من معارفه التاريخية في جامعة اوكسفورد. وبعد سنتين رجع ليكون بصحبة لايارد. فاستقصى الآثار وعثر على قصر آشور بانيبال في نينوى. ثم اصطفاه المتحف البريطاني ليقوم بادارة الحفريات في عواصم اشور وبابل وأرمينية فنجح في أعماله. ومن انفس مصنفاته: اشور وأرض نمرود والأراضي الكتابية وجنة عدن.

(2) Budge (E.A.W.): Rise and Progress of Assyriology. (London, 1925; p.134).

(3) Rassam (H): Asshur and the Land of Nimrud. (New York, 1897; p.406).

وتمارين كثيرة في الإنشاء. ثم نشر جدول المقاييس وجدول الضرب وغيرهما من الجداول الرياضية. هذا فضلاً عن صور الألواح الفلكية والتاريخية والادبية كالادعية والصلوات والرقي تلك الكتابات التي يتلقاها من يطمح إلى درجة الكهنوت.

كانت مدرسة سبار كبيرة الارجاء واسعة الساحات تضم بين جدرانها عدة غرف منسقة تنسيقاً حسناً. فأقيمت عند بابها غرفة يدخلها التلاميذ والتلميذات ليسجل البواب على آجرة أسماء المتأخرين والمتأخرات. ثم يجتازون ساحة المدرسة التي لم تكن مسقفة. وبعد ذلك يتفرق الأولاد والبنات الكبار إلى الصفوف وأما الصغار فيذهبون إلى الصفوف الأخرى. وكان في كل زاوية من زوايا ساحة المدرسة صندوق في داخله طين ليصوغ منه التلاميذ والتلميذات ألواحاً للكتابة.

إن مدرسة سبار أقدم مدرسة منظمة جلس على رحلاتها الطلاب والطالبات معاً في عهد حمورابي (1792 ـ 1750ق.م). وهي في الوقت نفسه من اعظم مدارس بابل وابعدها ذكراً وارفعها علماً بل إن هذه المدرسة صحبت الزمن دهراً طويلاً وتقلبت مع الظروف امداً مديداً حتى لم يكن لها ضريب في جميع المدن التي تقدمتها في تاريخ العمران[1].

مدرسة كيش (تل الاحيمر)

كانت مدينة كيش (Kish) بكسر الكاف بعدها ياء ساكنة وفي الآخر

---

(1) راجع في هذا الموضوع: العصور القديمة ص100. والعرب قبل الإسلام لجرجي زيدان (مصر 1922) 1: 48.

Clay (A): Light on the Old Testament from Babel. (London, 1907; p.166, 182).

Une Saison de Fouilles a Sippar. (p.30-35).

Rise and Progrss of Assyriology. (p.115, 132-134, 288).

Les Civilisations- Babylonienne et Assyrienne (p.291).

شين مثلثة من بلاد مملكة اكد. وهي تبعد زهاء عشرين كيلومتراً من الشمال الشرقي من الحلة وتعرف اليوم بتل الاحيمر (تصغير الاحمر) لصبغتها الحمراء.

في سنة (1853م) نقبت في هذه المدينة البعثة الفرنسية التي كان يرأسها جول اوبر (Jules Oppert) بعد ان زار اخربتها الانكليزي كير بورتر (Ker Porter). وفي شهر شباط من سنة (1924م) عثر المنقب المعروف لنكدن (Longdon) في أحد تلول مدينة كيش على كتابات مدرسية. ويبلغ طول هذا التل ثلاثة أرباع ميل ويتراوح عرضه بين خمسين واربعمائة متر وهو يعلو عن مستوى السهل من ثلاثين إلى أربعين قدماً. وأن اغلب اللقى التي اكتشفت بين غرفه - إن لم نقل كلها - كانت ألواحاً مدرسية تتكلم عن اللغة وقواعدها الصرفية والنحوية هذا ما عدا الألواح التي تبحث في جدول العلامات والنصوص الكتابية[1].

إن هذه المدرسة قديمة جداً وتعود إلى عصر اسن (Isin) وقد استخدمت فيها عدة نسخ من الكتب وغيرها تؤيد لنا أن التلميذ كان ملزماً بالذهاب إلى المدرسة ليتعلم ما يجب أن يتعلمه من المعارف. قالت دوروتي مكاي في كتابها مدن العراق القديمة: «وهناك (إي في محلة النساخ) عدد كبير من الألواح الدينية والأدبية والنحوية واللغوية وجدت في انقاض بيوت ترجع إلى عهد اسن وعصر بابل الجديد. وبين تلك الألواح عدة نسخ من الكتب المستعملة التي تضارع دفاتر هذا اليوم بينما غيرها مطروح في الممرات الضيقة لتذكرنا إن التلاميذ الصغار في أيام فجر التاريخ كانوا يجبرون على الذهاب إلى المدرسة»[2].

---

(1) Langdon (S): Excavations at Kish. (Paris, 1924; p.61, 87-99).

(2) The Ancient Cities of iraq. (p.21).

في غرف مدرسة كيش كان التلاميذ يتلقون المعارف الادبية والعلوم الدينية ويتقنون كتابة المقاولات الاقتصادية والمستندات التجارية. وفي صفوف مدرسة كيش كان الكتاب «يمارسون الخط والمشق والإنشاء والترسل وكتابة الوثائق والحجج وما كان من هذا الباب قبل أن يتخذوا لهم تلك الصناعة مهنة لهم»[1].

مدرسة نبور (نفر)

إن مدينة نبور (Nippur) من أقصى المدن الشمالية الشمرية. وكانت المركز الديني لكل سهل شنعار منذ أقدم العصور حتى هجوم الفرس[2]. وتقع على نحو مائة ميل من جنوب مدينة بابل. وهي اليوم على بعد عشرة كيلومترات إلى الشمال من بلدة عفك ويطلق على اطلالها اسم (نفر).

حفرت سنة (1889م) في اخربة نبور بعثة أمريكية ضمت فئة من العلماء الاعلام. وكان زعيمها إذ ذاك الاثاري المعروف بترس (J. Poters). وفي عام (1898م) وافى هلبرخت (H. Hilprecht) أحد اعضاء البعثة المذكورة بعد ان أقيم مديراً للتنقيبات في هذه المدينة. ثم عاد من أمريكة هينس (J. Haynes) أحد أعوان بترس وطفق سنة (1896م) ينقب في تلك التلول حتى وقف على ألواح كتب في معبد انليل[3] الذي يرتقي عهده إلى سنة (2700 ـ 2100ق.م).

وقد ورد في التقرير الذي نشره معالي الدكتور ناجي الاصيل في

(1) اطلب: كيش وهي اليوم تل الاحيمر بقلم دجنوياك H. De Genouillac في مجلة لغة العرب 1: 316 ـ 319.

(2) The Ancient Cities of Iraq. (p. 31).

(3) كان الإله انليل رئيس آلهة الشمريين قبل توطنهم بلاد العراق. وهو إله الامطار والعواصف وهو ينزل الصواعق ويثير الزوابع على أعدائه.

جريدة الزمان البغدادية عن أعمال البعثة الامريكية الموفدة من المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو ما يأتي: «وحفرت البعثة في تل واسع من تلول المدينة (مدينة نفر) واقع في الجنوب الشرقي من حي المعابد على اربعمائة متر منه. حيث صرفت البعثة معظم جهدها فنقبت في موضعين من هذا التل ووجدت في أحدهما حياً للكتبة السومريين فاستظهرت دور سكناهم وكشفت عن مؤلفاتهم التي جاوزت سبعمائة رقيم طيني بمختلف المواضيع منها في التاريخ والآداب والرياضيات والقانون. ومنها مواضيع مدرسية لتعليم الطلاب»[1].

إن الفضل الأكبر في الوقوف على الخفايا في مدينة نبور يعود إلى العالم الاثاري هينس. فقد وجد في حي المعابد في معبد الإله انليل كتابات تثبت إن فيه مدرسة عالية. إذ اكتشفت بين جدرانه ألواح دون على صفحاتها كل ما كان يعلم في مدارس ذلك الزمن من علوم دينية ونظرية هذا فضلاً عن اسفار مختلفة في المطالعة. وابرز ما وجد من المكتشفات في مدرسة هذا المعبد الألواح اللغوية وجداول الالفاظ المترادفة والرقم الرياضية. وجدول الضرب وقوائم باسماء الجبال والبلدان والنباتات والأحجار. والجداول التاريخية باسماء الملوك والحوادث التي وقعت في أيامهم. والألواح الفلكية والطبية والدينية وما يتعلق بهذه العلوم. ويلي كل ذلك الأدعية والصلوات والتسابيح والتعاويد[2].

لقد اشتملت كتب معبد انليل على (23000) لوح يرتقي تاريخها إلى السنين (2700 ـ 2100ق.م). وكانت اسفار التدريس تتألف من لوحات

(1) جريدة الزمان في عددها 3830 والمؤرخة في 17 مايس 1950.

(2) Rise and Progress of Assyriology (P. 248-949).

طين غير مطبوخ تنضد على الرفوف أو تودع في الخوابي. وكانت تلك الرفوف تصنع من خشب أو طين تغطى بالحصير أو القار لكي لا تتسرب الرطوبة إلى الكتب. وأما ارتفاعها فما يتجاوز العشرين انجاً. وقد سطر جمهور من العلماء الاثاريين فصولاً مسهبة عن هذه الكنوز الثمينة ونشروها في بطون أسفارهم النفيسة اشهرهم كلاي (A. Clay) ورادو (H. Radau) ولنكدن (S. Langdan) وكريمر (S. Kramer) وغيرهم[1].

مدرسة برسبا (برس نمرود)

كانت مدينة برسبا (Borsippa) في الأزمنة الغابرة من المدن الداخلية في نطاق بابل[2] وتقع اليوم في جنوب غربي الحلة. وقد اختلف العلماء في مدى بعدها عن بابل ولكنه لا يقل على كل حال عن ثمانية أميال وربما تجاوز عشرة أميال[3]. ودعتها كتب التاريخ (برج نمرود) وسماها العرب (برس اوبرس نمرود). وفتحها المسلمون سنة (15هـ ـ 636م). قال البلاذري: «وبعث سعد خالد بن عرفطة على خيل الطلب فجعلوا يقتلون من لحقوا حتى انتهوا إلى برس»[4] وكتب ياقوت: «برس بالضم موضع بأرض بابل به آثار لبخت نصر وتل مفرط العلو يسمى صرح البرس»[5].

كان صرح البرس برجاً من أهول ما بناه البابليون وأعظمه خطراً.

(1) مجلة سومر لمديرية الآثار القديمة العامة في بغداد (2 «1946» ص109).
Hilbrecht (H.V): Explorations in the Bibel Lands. (Edinburgh, 1903; p. 254, 413, 480, 528).

(2) مجلة لغة العرب 3: 402.

(3) نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق لمعالي يوسف غنيمة (بغداد 1924) ص27.

(4) فتوح البلدان للبلاذري (ليدن 1866) ص259.

(5) معجم البلدان الياقوت الحموي (ليبسك 1866 ـ 1873) 1: 565 ـ 666.

وقد نقب في تلوله البحّاثة العلّامة المعروف اوبر (J. Oppert) وغيره من الاثاريين[1]. فعثروا على أخربة هيكل (نبو) إله المعرفة ومخترع الكتابة والرسائل. ووجدوا بين أنقاضه ألواحاً كثيرة تبحث عن اللغة وقواعدها وآدابها وتتكلم عن علم الهيئة والطب والتاريخ والجغرافية هذا فضلاً عن رقم الأدعية والتعاويذ والصلوات.

إن هيكل (نبو) من أعظم الهياكل التي شيدت في تلك الأيام. فكان هيكلاً مكوناً من سبع طباق ملونة وكل طبقة منها خصصت بواحد من الآلهة السبعة (آلهة أنوار المسكونة السبعة). وقد ارصدت الطبقة السادسة للإله (نبو) وكان لونها أسود[2]. وعليه فلا عجب أن يكون بين جدران هذا الهيكل العظيم مدرسة عالية. إذ كانت مدينة برسبا مركزاً لجميع العلوم الدينية[3]. وكان الغربيون والشرقيون يقصدونها طلباً للعلوم الرياضية والفلكية والطبية[4].

وكان يدرس في مدرسة برسبا في عهد البابليين والكدانيين «علم الكلام وسائر العلوم العالية حتى أنه لم يكن في الشرق كله مثلها إلا في الوركاء أو ارك»[5].

مدرسة ارك (الوركاء)

كانت مدينة ارك (Urak) أو الوركاء (Warka) في أيام عزها من

(1) The Ancient Cities of Iraq. (p.30).

(2) Explorations In the Bibel Lands. (P. 186).

(3) تاريخ كلدو وآثور للمطران ادي شير (بيروت 1912 ـ 1913) 1: 158.

(4) الفلسفة في الشرق لبول ماسون اورسيل تعريب محمد يوسف موسى (مصر 1945) ص86.

(5) مجلة لغة العرب 3: 400.

المدائن المقدسة عند البابليين وعرفت في التوراة باسم ارك[1]. وتقع اليوم في نحو أربعين أو خمسة وأربعين ميلاً من شمال غربي الناصرية. وتغطي بقايا أطلالها بقعة من الأرض تتجاوز مساحتها (2500 أو 3000) باردة[2].

بحث عن دفائن ارك المنقب لوفتس (Loftus) في غضون سنة (1854م) فوقف على أخربة هيكل الإلهة أنيني أي عشتار آلهة الحب. ويرتقي عهد هذا الهيكل إلى قبل سنة (2400ق.م). ثم توالت التنقيب في روابي هذه المدينة بعثة المانية فعثرت سنة (1939م) على طائفة كبيرة من آثارها وهياكلها ومدرستها. وقد كتبت على صفحات الرقم المدرسية نصوص العلوم العالية تلك العلوم التي لا يتمهر فيها إلا من تسمو نفسه إلى بلوغ درجة الكهنوت[3].

قال البحاثة معالي يوسف غنيمة (المتوفى سنة 1951م) في كتابه نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق: «وكانت (ارك) في أيام عزها من المدن المقدسة عند البابليين وفيها هياكل قديمة ومدرسة للكهنة»[4]. وقال العلّامة المطران ادي شير (المتوفى سنة 1915م) في كتابه تاريخ كلدو وآثور: «إن ارك وبرسبا كانتا مركزين لجميع العلوم الدينية»[5]. وقال بول ماسون اورسيل مدير مدرسة الدراسات العليا في باريس: «أما في مدارس ارك وبابل وبرسبا التي أشار سترابون إلى شهرتها فلم يكن تفسير الأحلام أو تعرف المستقبل كل أعمالها بل اشتغلت أيضاً

(1) سفر التكوين 10: 10.

(2) History and Antiquities of Mesopotamla. (p.67).

(3) The Ancient Cities of Iraq. (p.34).

(4) نزهة المشتاق ص15.

(5) تاريخ كلدو وآثور 1: 158.

بالرياضيات وعلم الفلك والطب الذي كان يرجع إلى آلاف السنين. فكان الغربيون والشرقيون يحجون إلى تلك المدارس طالباً لهذه العلوم»[1].

مدارس قديمة أخرى

وكان في ارجائنا العراقية مدارس أخرى لم يستطع الاثاريون أن يميزوها عن خزائن الكتب. فقد وصفوا هذه الخزائن وما حوته من ألواح مدرسية ومعاجم لغوية ورقم حسابية بيد أنهم لم يبينوا أنواعها. وتؤيد الأخبار أن المعبد كان يحوي عادة على حجرة تضم مجموعة من الألواح أو ما يطلق عليه اسم «خزانة كتب المدرسة» ليستعملها تلامذة الكهنة[2]. وإننا لم نصف في هذا الكتاب إلا المدارس العراقية التي تكلم عنها الاثاريون أو أشاروا إليها إشارة واضحة ولهذا أغفلنا ذكر أكثر هذه المدارس لسكوت المراجع عنها.

إن أهل العراق الأولين شادوا مكاتب عديدة في كل معبد من معابدهم وفي جوار كل مسجد من مساجدهم وفي كل مدينة من مدنهم. أما مدارس المدن الكبيرة فكانت عامة ولا يجهل شهرتها إذ ذاك أحد من المتأدبين. غير أن أهوال الحروب وتغيرات العصور حالت دون تعيين مواقعها وبلوغ أسمائها إلينا. ولا مرية أن المنشئين الآرميين[3] الذين كانوا قد استولوا على الشؤون الكتابية في عهد الملوك الآشوريين قرأوا معرافهم على مدرسين قديرين وفي مدارس عالية راقية. وأن تلك النهضة العقلية مسبوقة بنهضات كثيرة نشأت

(1) الفلسفة في الشرق ص86.

(2) خزائن الكتب القديمة ص42.

(3) طالع مقالنا عن الآرميين في مجلة سومر 2، 1946: 318 ـ 325.

وتمت وتكاملت في المعاهد الأدبية وفي دور التعليم وهكذا لم تزل حتى عصور الميلاد الأولى. وقد خرج من هذه المدارس الجهابذة المحققون والعلماء النوابغ أمثال الحكيم أحيقار وغيره.

لقد نبه الحكيم احيقار في عهد الملك الآشوري سنحاريب (705 ـ 681ق.م) وكان وزيره وموضع سره وذا أموال طائلة. وقد وضع سفره بالآرمية أودعه أمثالاً وحكماً كثيرة تنبئ عن توقّد ذهن وجودة ذكاء. واقتبس منه كتبة اليونان أقوالاً وألغازاً ونقل من زمن بعيد إلى لغات شتى. وقد عرف العرب قبل الإسلام قصة احيقار المسطورة في سفره. فاشار إليها الشاعر النصراني الجاهلي عدي بن زيد (المتوفى سنة 582م) في قصيدة له ذكرها البحتري في حماسته في الباب التاسع والأربعين[1]. كما عرفها العرب قبل الإسلام في مجموعة قصص «ألف ليلة وليلة».

وتتلخص قصة احيقار: إنه كان وثنياً يعتقد بتعدد الآلهة فتزوج نساء كثيرات غير أنه لم ينجب غلاماً يخلفه ويرث ثروته وحكمته. فجحد الوثنية ودان بدين الإله الواحد. بيد أن ايمانه الجديد لم يحقق امنيته. ثم تضرع إلى الله تائباً فسمع صوتاً يقول له: «خذ نادان ابن أختك واجعله ولداً لك وعلمه علمك وادبك». فأخذه وكان إذ ذاك رضيعاً فثقفه وهذبه. ولما شاخ احيقار طلب إليه الملك سنحاريب ان يعين من يخلفه في منصبه. فأعلمه عن ابن أخته نادان فوافق الملك على ذلك.

كرت عجلة الزمن ونادان ينفق بسخاء حتى كاد يضيع ثروته. فاسترد احيقار الميراث منه ومنحه أخاه الأصغر (نبوزار ادان). فحنق نادان على

---

(1) كتاب الحماسة للبحتري (بيروت 1910) نشره الأب لويس شيخو اليسوعي ص86.

خاله ووشى به لدى الملك فأمر بقطع رأسه. غير إن السياف قتل عوضه أحد المحكوم عليه بالموت وخبأ احيقار في سرداب في حديقة بيته لا يعلم به أحد. وبعد سنين سير فرعون مصر إلى ملك آشور رسالة يلتمس فيها أن يبعث إليه من يشيد له قصراً في الهواء وإلا يدفع الجزية إليه مدة ثلاث سنوات. فجمع سنحاريب العلماء والحكماء والفلاسفة والمنجمين وعرض عليهم الأمر فاقروا بعجزهم. فندم الملك على قتل احيقار ولكن السياف اخبره أنه في قيد الحياة. وقبل ان يسافر احيقار إلى مصر طفق يعد نسرين وغلامين وخيطين طويلين من القطن طول كل منهما ألفا ذراع. وكان يربط النسرين بالخيطين ويدرب الغلامين على الركوب على ظهرهما. ثم يطلقهما فيطيران على طول الخيط فإذا وصلا إلى الجو صاح الغلامان قدموا لنا الحجارة. فلقي احيقار ملك مصر وألتمس منه أن يعد الحجر ليبني له القصر المنشود. وبعد إعداد مواد البناء اطلق احيقار النسرين وعليهما الغلامان فإذا استقرا في الجو صرخ الغلامان: «أرسلوا الحجارة فنحن على أستعداد للعمل». وأخذ احيقار وأتباعه يصرخون بين العمال والجنود لكي يقدموا للبنائين ما يريدان. فيقف حينئذ الملك على إستحالة نقل شيء إليهما ويعترف لاحيقار بالنصر.

وهذه بعض النصائح والحكم التي لقنها احيقار لابن أخته نادان:

يا بني: إذا سمعت كلمة فدعها تمت في قلبك. ولا تكشفها لغيرك لئلا تصبح جمرة تحرق لسانك. وتترك الألم في جسدك وتكسبك الخزي والعار عند الله والناس.

يا بني: لا ترفع عينيك إلى امرأة متزيّنة ولا تشتهها بقلبك فإنك إن اعطيتها كل ما في يديك فلن تجد عندها ما يفيد وتأثم بالخطيئة.

يا بني: نقل الحجارة مع رجل حكيم خير من شرب الخمر مع رجل أثيم.

يا بني: إذا أكل الغني الحية قالوا أكلها تطبباً. وإذا أكلها الفقير قالوا أكلها جوعاً.

يا بني: لا تحل بين ابنك وضرب السياط. لأن الضرب للصبي كالزبل للبستان.

يا بني: إذا ارسلت الحكيم في حاجة فلا توصه كثيراً. لأنه يقضي حاجتك كما تريد. ولا ترسل الأحمق بل امض أنت وأقض حاجتك.

يا بني: كرعة في يدك خير من وزة في قدر غيرك. ونعجة قريبك خير من ثور بعيد. وعصفور حقير في يدك خير من ألف في الهواء[1].

---

(1) اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية للبطريرك اغناطيوس افرام الأول برصوم (حمص 1943) ص17. وتاريخ كلدو وآثور 1: 113 ـ 114 و2: 40. وتاريخ الأدب السرياني للدكتور مراد كامل والدكتور محمد حمدي البكري «مصر 1949» ص33 ـ 40.

الفصل الثالث

مدارس البرثيين والساسانيين

مدارس البرثيين والساسانيين

وفي أواسط القرن السادس قبل الميلاد انقرضت المملكة الكلدانية وانتقلت سيادة البلاد العراقية إلى الدولة الكيانية الفارسية يوم دخل ملكها كورش الأكبر مدينة بابل سنة (538ق.م). ثم اتسعت رقعة هذه الدولة في عهد دارا الأول (المتوفى سنة 485ق.م). بيد أن الحروب المديدة مع اليونان انهكت قواها. فدب الضعف في جسمها ولم تستطع أن تقاوم الاسكندر المكدوني فقضى عليها سنة (331ق.م).

اتخذ الاسكندر بابل عاصمة لسرير ملكه الشرقي إلا أن المنية عاجلته. فاقتسم قواده الثلاثة مملكته فتجزأت إلى ثلاث دول كانت نصيب قائده سلوقس نقطور (المتوفى سنة 282ق.م) آسية الصغرى وسورية والعراق وبلاد فارس. ولما تقلص ظل اللوقيين وافى البرثيون[1] من البلاد الجبلية الواقعة في شرقي بحر قزوين وجنوبيه. وشاد أسس مملكتهم قائدهم ارشك الأول (250 ـ 248ق.م) وامتدت حدودها حتى ضمت بين جناحيها معظم مدن الأفغان وجميع أطراف المملكة الإيرانية وجزءاً وافياً من أقطار روسية هذا فضلاً عن بلاد ماذي والعراق وبابل وآشور. غير أن معارك دامية اجتاحت ساحاتها واخمدت أنفاسها سنة (226ق.م). وقامت على أنقاضها مملكة الساسانيين أو

---

(1) عرف البرثيون بهذا الاسم نسبة إلى بلادهم الاصلية (برثية) وهي اليوم خراسان وعرفوا أيضاً بالارشكيين نسبة إلى زعيمهم ومؤسس دولتهم ارشك.

الاكاسرة[1] وقد بنى دعائمها اردشير بن بابك من آل ساسان (المتوفى سنة 241ق. م). وعاشت أكثر من أربعة قرون (226 ـ 632م) وشملت حدودها أقطار إيران والبختيارية والولايات الصغرى في أواسط آسية إلى بلاد الصين والهند كما بسطت سلطانها على العراق والجزيرة[2]. وانتهى أمرها من أقطارنا يوم استولى العرب على عاصمتهم قطيسفون سنة (16هـ ـ 637م). وقد اختصروا اسمها فقالوا طيسفون[3].

اهتم اليونانيون بنشر لغتهم في أطراف العراق وتقدمت تقدماً في أيام السلوقيين وتكلم بها الكثيرون في عدة أقسام من المملكة البرثية[4] فأقاموا في المدن الكبيرة المعروفة إذ ذاك مدارس ومعاهد ومسارح يونانية كما نبغ عدة علماء عراقيين في مدارس اليونان أمثال ديوجين البابلي أحد أعاظم الكتاب الرواقيين. وباروز[5] الكاهن البابلي الذي وضع باليونانية تاريخ بلاده. وتبدأ حوادثه من الخليقة وتنتهي إلى

(1) أتى الساسانيون من الهضاب الواقعة في غربي ايران. وقد سموا الاكاسرة منذ أيام كسرى أنوشروان بن قباذ. ومعنى كسرى واسع الملك (الدول الفارسية في العراق لعلي ظريف الاعظمي «بغداد 1927» ص52).

(2) مختصر تاريخ العرب للسيد أمير علي تعريب رياض رأفت (مصر 1938) ص25.

(3) تقع مدينة قطيسفون أو طيسفون على سبعة فراسخ اسفل من بغداد في الجانب الشرقي من دجلة. واسمها الماذي القديم كسبيا أو كسبيا نام (أي حصن القزوينيين وهم قوم سكنوا في شمال إيران وبهم عرف بحر قزوين). وصارت نحو سنة (150 ق. م) مقراً للبرثيين، ثم اتخذها الساسانيون عاصمة شتائية لدولتهم (بلدان الخلافة الشرقية تأليف لسترنج تعريب بشير فرنسيس وكوركيس عواد «بغداد 1954» ص52). ويشاهد في موقعها اليوم ايوان كسرى وقبر سلمان الفارسي (سلمان باك).

(4) Christensen (A): L'Iran sous les Sassanides (Copenhague, 1944; p.49, 122).

(5) اسمى الكتّاب المعاصرون باروز (بيروس أو بيروسوس أو بروسيوس) تبعاً للإفرنج ولكن المطران يوسف الدبس في كتابه تاريخ سورية دعاه باروز وفقاً للصيغة الآرمية (تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس «بيروت 1893» 1 : 67 و85 ـ 86 و134 ـ 135).

أيامه. وأهداه إلى انطيوخس الأول بن سلوقس غير أن يد الضياع عبثت بهذا السفر. والرياضي الفلكي سلوقس البابلي وكان قد ارتأى قبل كوبرنك أن الأرض وسائر السيارات تدور حول الشمس. والمؤرخ ابلودورس وغيرهم[1].

لقد كانت فتوحات الاسكندر وسيلة للتعارف بين الشرق والغرب. وباحثاً لاحتكام مدنيتين عريقتين في القدم. وحافزاً للتقدم في حضارة الاغريق التي كانت إذ ذاك في اوج عزها.

أما البرثيون والساسانيون فلم يهتموا كثيراً بالعلوم والآداب إذ كان شغلهم الشاغل قطع دابر الملاحم المتواترة في أنحاء بلادهم ولهذا فالحياة الادبية حتى ظهور الإسلام «لم تكن تدعو إلى الارتياح»[2]. بيد أنهم ولا امتراء أقاموا كتاتيب ومدارس في أكثر أقطارهم. وكانت اللغة البهلوية في عهد البرثيين منتشرة في العراق وازداد انتشارها في عهد الساسانيين وهي لغة مشتقة من الفارسية القديمة[3]. وقد نقلت إليها أسفار علمية وفلسفية ولا سيما في عهد كسرى الأول أنوشروان (531 ـ 578م)[4].

---

(1) خلاصة تاريخ العراق للأب انستاس ماري الكرملي (البصرة 1919) ص47.

(2) تاريخ الأدب الفارسي للدكتور رضا زاده شفق تعريب محمد موسى هنداوي (بيروت 1947) ص4 و10 ـ 11.

(3) اللغة الايرانية القديمة فرع من مجموع اللغات (الهندية الأوروبية). وتشتمل على عدة لغات مختلفة واكثرها شهرة في عهد الهخامنشيين الفارسية القديمة ولغة الافستا. وقد كتبت بالأولى القوانين والمراسيم الملكية والنقوش الحجرية. وكتبت بالثانية الكتب الدينية الزرادشتية وكانت خاصة بالكتب المقدسة ورجال الدين. وقد تطورت اللغة الفارسية القديمة بمرور الزمن حتى بلغت إلى اللغة البهلوية. ثم تدرجت وانتهت إلى الفارسية الحديثة.

(4) تاريخ الأدب الفارسي ص6 ـ 9.

أسس البرثيون والساسانيون كتاتيب ومدارس في العراق غير أن أسماءها لم تصل إلينا بل لم يبق أثر منها ولا سيما بعد انتشار الدين الإسلامي. وإننا لا نشك في تأسيس أمثال هذه المعاهد التهذيبية إذ كان الباعث الأكبر لإنشاء المدارس دينياً. ولهذا اتخذ جميع الشعوب على اختلاف أديانهم وتباين مذاهبهم أماكن العبادة للتدريس. ذلك ما فعله البرثيون والساسانيون وهذا ما فعله النصارى والمسلمون. فقد جعلوا المعابد والكنائس[1] والجوامع أماكن للتدريس واستخدموا رجال الدين للتأديب.

لقد شاد البرثيون والساسانيون في مدن العراق بيوتاً للنار ولا ريب أنهم اتخذوها معاهد للتعليم اسوة ببقية الشعوب. وقد ذكر الاخباريون أن كهانهم المجوس كانوا يتحكمون في أمور الشعب ويتصرفون في متعلقات الدين وفق مشيئتهم. وكان زعيمهم إذ ذاك مؤبذان مؤبذ (قاضي القضاة) يقيم في قطيسفون عاصمة المملكة يتوج الملك ويشاطره نفوذه[2]. وكان تحت امرته رؤساء الكهان (مغبتان مغبت) ورؤساء النار (هيربذان هيربو) الذين يعدون تلاميذه.

انتشرت يومئذ بيوت النار في اطراف البلاد وكان المبتدع ماني (القرن الثالث الميلادي) ينزل قطيسفون في بيت الأصنام[3]. ويقال

---

(1) الكنائس مفردها الكنيسة: كلمة مشتقة من الفعل الآرمي كنش أي جمع. فالكنيسة تفيد المجمع. وقد اتت بمعنى محل صلاة النصارى واليهود. ومنهم من جعل الكنيسة للنصارى والكنيس لليهود.

(2) فجر الإسلام لاحمد أمين (مصر 1945) ص98 ـ 107. والحيرة: المدينة والمملكة العربية لمعالي يوسف غنيمة (بغداد 1936) ص5. أخبار فطاركة كرسي المشرق لماري بن سليمان (رومة 1899) ص50 ـ 51.

(3) الفهرست لابن النديم (مصر 1348هـ) ص457.

أن دخل بيت النار الذي في المدائن[1] كان يربو على الخراج الذي يجبى من كورة فارس باجمعها[2]. وكانت مدينة اربل تحتفل بعيد النار في شهر أيار من كل سنة[3]. وكانت أول كنيسة اقيمت في العراق بيتاً للنار[4]. بناها مار[5] ماري (المتوفى سنة 82م)[6] في دير قنى[7] ودفن فيها[8] ورفع الجاثليق[9] مار أبا الكبير (540 ـ 552م) في مدينة سلوقية[10].

---

(1) كانت المدائن تتألف من سبع مدن تبتعد الواحدة عن الأخرى قليلاً. وقطيسفون المار ذكرها إحدى تلك المدن وسوف نتكلم عن مدارسها في الفصول القادمة.

(2) الاعلاق النفسية لابن رستة (ليدن 1891) ص186.

(3) تاريخ الموصل للمطران سليمان الصائغ (بيروت 1928) 2: 9.

(4) ذخيرة الأذهان للأب بطرس نصري (الموصل 1905 ـ 1913) 1: 41.

(5) مار كلمة آرمية معناها السيد وتطلق على القديسين ورؤساء الدين.

(6) كان مار ماري تلميذ مار ادي أحد تلاميذ المسيح الاثنين والسبعين «انجيل لوقا الإصحاح العاشر» وهما أول من بشرا بالنصرانية في العراق كما سنذكر في الفصل الآتي.

(7) دير قنى بضم أوله وتشديد ثانيه مقصور يقع على ستة عشر فرسخاً من بغداد منحدراً بين النعمانية. وهو في الجانب الشرقي معدود في أعمال النهروان (معجم البلدان 2: 687). وسنتكلم عن مدرسته في الفصول الآتية.

(8) اخبار فطاركة كرسي المشرق لماري بن سليمان (رومة 1899) ص4.

(9) الجاثليق: كلمة يونانية النجار بمعنى العام أو الأب العام. وقد استعملت للرئيس الديني الاعلى لدى النساطرة ويقابلها اليوم كلمة البطرك أو البطريرك وهي كلمة يونانية أيضاً معناها الأصل أو أبو العائلة أو القبيلة. وتستعمل مجازاً لرئيس جماعة أو طائفة أو أمة (معجميات عربية ـ سامية للأب أ.س. مرمرجي الدومنكي «لبنان 1950» ص222). جاء في التاج (7: 111): «البطرك هو مقدم النصارى».

(10) سلوقية من مدن المدائن السبع وهي تقع في الجانب الغربي من دجلة وسميت باسم بانيها سلوقس نقطور «311 ـ 282ق.م» أحد قواد الاسكندر المكدوني «366 ـ 273 ق.م» وقد بناها على آثار مدينة كوخي. وبقيت عامرة بعدما فتح العرب العراق زهاء قرن واحد.

دعائم مدرسته في بيت نار للمجوس. قال المؤرخ عمرو بن متى: «فاستخاره (أي مار ابا) الجميع أن يكون معلماً للعالمين وجلس وجادل مع الجوس وقهرهم حتى إذن له أكثر علمائهم وأخذ أحد بيوت النار وهو المعبد الذي لهم وعمله بيت التعليم»[1].

ويؤيد المؤرخون أن البرثيين والساسانيين أقاموا في بلادنا العراقية خزائن كتب نضدوا في رفوفها عدداً وافراً من المصنفات[2]. وقد ذكر ابن خلدون عن المغول حينما دخلوا بغداد عام (656هـ ـ 1258م): «استولوا (أي المغول) على قصور الخلفاء وذخائرهم على ما لا يبلغه الوصف ولا يحصره الضبط والعد. وألقيت كتب العلم التي كانت بخزائنهم جميعها في دجلة وكانت شيئاً لا يعبر عنه مقابلة على زعمهم بما فعله المسلمون لأول الفتح في كتب الفرس وعلومهم»[3].

إن بناء المعابد للنار وإقامة خزائن الكتب وإزدخارها بالأسفار الكثيرة لمن أقوى الأدلة الواضحة على انتشار المعاهد العلمية. لأن هذه وتلك أخوات لا تفترق إحداهن عن الأخرى.

هذا ولا يمكننا أن نبت فيما كان يدرس البرثيون والساسانيون من العلوم في هذه المعاهد التهذيبية. غير إننا لا نرتاب بأنهم درسوا فيها ما كان يدرس في مدارس بلادهم. وينبئنا التاريخ أن الآداب الفارسية ازدهرت في أيام كسرى الأول أنوشروان (531 ـ 587م) واتسعت حدود العلوم الفلسفية وتقدم العراق نحو المدنية

---

(1) المجدل ص40.

(2) خزائن الكتب القديمة ص72 ـ 74.

(3) تاريخ ابن خلدون «مصر 1274هـ» 3: 537.

والعمران حتى أصبح حافلاً من أهل البلاد الأصليين والفرس وغيرهم[1]. ولسوء الطالع لم تبلغ إلينا تفاصيل كافية تؤيد لنا مبلغها من التقدم. أما التعليم الابتدائي فلا نعرف عنه شيئاً ولا مرية إن القرويين ألمّوا بالقراءة وكان الدهاقنة[2] ملزمين في كل وقت أن يتهذبوا على الأقل بعض التهذيب وأن يحفظوا ترجمة القوانين وتاريخ الأمة وكانوا يحسنون القراءة والكتابة ويعرفون قليلاً من مبادئ الحساب.

وتقدم التعليم العالي بتقدم الحالة الاجتماعية. فكان أولاد الأشراف يدرسون مع الأمراء تحت إمرة الفرسان فيتعلمون القراءة والكتابة والحساب وفنون الفروسية. وفي الخامسة عشرة من عمرهم يدرسون العلوم الادبية والطبيعية. أما الشاب فواجب عليه أن يتعلم الديانة ويتدرب على أخلاق الرجال. وإذا بلغ العشرين يمتحن بالحكمة. وقد وافى عن كسرى الأول أنوشروان أنه دخل المدرسة وهو صبي وتعلم على ظهر القلب الاقسام الأولى للافستا. ثم درس الآداب والتاريخ والفصاحة والبلاغة. وتمهر في أعمال الفروسية كركب الخيل واستخدام الرمح وتعلم الموسيقى والغناء.

وهناك من الشبان من كانوا يشتغلون بالدروس العلمية وكان منهل هذه العلوم الافستا الساساني. ولا شك إن الكهان درسوا كما درسوا الجغرافية والطب وعلم الهيئة. وكان الطب متقدماً لديهم وقد ألفوا فيه كتباً عديدة. وفي القرن الخامس الميلادي فتح

---

(1) تاريخ الدول الفارسية في العراق ص40 و50.

(2) الدهاقنة أو الدهاقين مفردها الدهقان أي رئيس الإقليم.

النصارى مدارس طبية علموا فيها الطب اليوناني[1] واشهرها مدرسة جنديسابور[2].

---

(1) راجع عن الحياة الأدبية الساسانية:

L'Iran sous Les Sassanides. (p.417-422).

(2) كانت جنديسابور في أيام الساسانيين قاعدة أقليم خوزستان الذي دعاه الاقدمون. بلاد عيلام وسماه العرب بلاد الاهواز. وسميت أيضاً كوندشابور أي قرية سابور أو وند شابور أي المقتناة لسابور. ودعيت في التاريخ الآرمي بيث لافط أو بيث لافاط وهي اليوم خرائب شاه اباد. وقد جدد بناءها سابور الأول الملك الساساني (241 ـ 272م) ودعاها انطبشابور أي أنت بدل سابور. وأسكن فيها الاسرى الذين سباهم من انطاكية وأطرافها. ثم اختارها سابور الثاني المعروف بذي الاكتاف (309 ـ 279م) لسكناه. ودعا إليها الطبيب اليوناني تيثودوسيوس. وفتح له مدرسة وعهد إليه تدريس الطب وترجمة الكتب اليونانية. وأصبحت مركزاً مهماً للعلوم بعدما التجأ إلى فارس عدد كبير من العلماء والأطباء الذين نفاهم يوستنيان الامبراطور الروماني. ثم إن كسرى الأول أنوشروان (531 ـ 578م) شاد لهم مستشفى ومدرسة للطب تهافت إليها التلاميذ من أطراف البلاد. وبقيت جنديسابور حتى أيام الخليفة المنصور. واشتهرت بمدرستها الطبية العظيمة التي أسسها الطبيب النصراني بختيشوع ومن بعده ابناؤها وأحفاده. وكانوا من ذوي الحظوى لدى خلفاء بني العباس (راجع بلدان الخلافة الشرقية ص273. ومجلة النجم للبطريركية الكلدانية في الموصل 4: 376 و13: 418 ـ 419. والتاريخ السعردي لمؤلف مجهول نشره المطران أدي شير «باريس 1907» 1: 11. وتاريخ مختصر الدول لابن العبري «بيروت 1890» ص129).

Duval (R): La Littérature Syriaque. (Paris, 1907; p 269).

الفصل الرابع

التدريس لدى النصارى

التدريس لدى النصارى

نصارى العراق:

ليس نصارى العراق غرباء أو دخلاء بل أنهم وطنيون من سكانه القدامى أقاموا وما برحوا يقيمون فيه منذ أقدم العصور إلى يومنا. وقد دانوا بالنصرانية في مطاوي القرن الأول للميلاد أيام كانت الدولة البرثية مسيطرة على أقطارنا العراقية. وتؤيد الأخبار إن مار ادي أحد تلاميذ المسيح الاثنين والسبعين وتلميذه مار ماري بشرا بالنصرانية في نصيبين والجزيرة والموصل وأرض بابل والسواد وبلاد العرب وأرض المشرق في المائة الأولى للميلاد[1].

هوت الدولة البرثية وانتقل العراق إلى دولة الساسانيين والاكاسرة فازدهرت النصرانية في عهدها وازداد عدد من دانوا بها على الرغم

---

(1) طالع في هذا الصدد:
المجدل ص1 ـ 2. واخبار فطاركة كرسي المشرق ص1 ـ 5. ومجلة النجم 6: 242 و10: 10 ـ 13 و65 ـ 66 و71. وتاريخ كلدو وآثور 2: 1 ـ 14. وكتاب التنبيه والاشراف (مصر 1357هـ) ص128. والتاريخ الكنسي بالسريانية لابن العبري (لوفان 1872 ـ 1877) 2: 11 ـ 14. والدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة للبطريرك اغناطيوس افرام الأول برصوم (حمص 1940) ص76 و197. وسير الشهداء والقديسين طبعة بيجان (لبسيك 1890 ـ 1895) 1: 45 ـ 94. و2: 512. والمكتبة الشرقية 4: 5 ـ 30.
Assemani (J.C): Bibliotheca Orientalis. (Roma, 1719-1728; Vol. IV. p.5-30).

من الاضطهادات التي كان يثيرها من وقت إلى آخر ملوكهم وملوك الروم. فوسع إذ ذاك ادباؤهم نطاق المعارف ونشر كتابهم ألوية العلوم. ثم تسابقوا في حلبة الصنائع وأقاموا دعائم المستشفيات وشادوا أسس المدارس. وظلوا على هذه الحال إلى قيام الدولة العربية.

جاء في سفر كسوف النصرانية في آسية ما خلاصته: «في أيام الفتح الإسلامي كانت للكنيسة النسطورية عدة فروع متحدة ببلاد ما بين النهرين منقسمة إلى ستة أقاليم:

1 - إقليم بابل أو ابرشية[1] سلوقية وقطيسفون أو المدائن.

2 - إقليم خوزستان أو ابرشية جنديسابور (بيث لافط).

3 - إقليم بيث عربايي[2] أو ابرشية نصيبين.

4 - إقليم ميشان[3]

---

(1) الابرشية: كلمة يونانية الاصل يراد بها ولاية الأسقف الكنسية. والأسقف كلمة يونانية أيضاً بمعنى المراقب أو الناظر وهو رئيس الكهنة.

(2) بيث عربايي أو باعربايا: تطلق على الأرض الممتدة من بازبدي وبلد إلى نصيبين وقاعدتها نصيبين. وكانت بازبدي أو بازبدا أو بيث زبداي في وادي دجلة بين باعربايا وقردو وعاصمتها فنك أو ينك في شمال غربي جزيرة ابن عمر وهي المعروفة اليوم باسم آزخ. وبلد على دجلة في شمالي الموصل على مسافة سبع ساعات منها وتدعى الآن اسكي موصل. وأما قردو أو باقردا أو باقردي أو قردي فهي القطعة المعروفة اليوم باسم بهتان ويحيطها شمالاً وغرباً نهر بهتان وهو دجلة الشرق وجنوباً دجلة وبيث زبداي.

(3) كانت ميشان أو برث ميسان في جوار البصرة. جاء في التاريخ السعردي (1: 305): «لما فتحت الابلة وميشان في أيام عمر بنيت وسميت البصرة». وورد فيه أيضاً (2: 308): «وقاتل عتبة بن غزوان الفرس المقيمين بأرض ميشان وملك الابلة وبنى بها مدينة كبيرة راكبة للماء الجاري من البحر وسماها البصرة. وغرس فيها أبو موسى الاشعري النخل وزاد عمارتها». وبرث ميسان كلمتان ارميتان: فبرث معناها (شق وبعج) وميسان بمعنى الليف (دليل الراغبين في لغة الآرميين للمطران يعقوب

أو ابرشية البصرة[1].

5 ـ إقليم حدياب[2] أو ابرشية اربل.

6 ـ إقليم بيث كرمايي[3] أو ابرشية كركوك (كرخاد بيث سلوخ)[4].

وكان عدد النصارى في هذه الأقاليم الستة لا يستهان به. ولما أراد عمر الأول (عمر بن الخطاب) إحصاء غير المسلمين في بابل وجد إن (500,000) رجل يستطيعون ان يدفعوا الضريبة. وكان مجموع النصارى واليهود مليوناً وخمسمائة ألف. ولا ريب إن عدد النصارى كان يزداد كثيراً على اليهود[5].

القراءة والكتابة:

لامرية إن القراءة والكتابة عرفتا قبل الميلاد في أقطارنا العراقية غير أنهما لم تكونا منتشرتين انتشاراً عاماً. وكان الساميون عند تفرقهم

اوجين منا (الموصل 1900، ص397 و616). وفي اللغة الآرمية العامية أي السورث تطلق كلمة ميسان على الغابة. وكانت تسمى في أيام مار ماري دستميسان». فقد اتى في كتاب (فطاركة كرسي المشرق ص4): «وانحدر مار ماري إلى دستميسان وبلغت دعوته إلى بحر فارس». ووافى في معجم البلدان (2: 574): «دستميسان كورة قصبتها الايلة فتكون البصرة من هذه الكورة».

(1) يبدو لنا إن البصرة مشتقة من كلمة آرمية (بصريا) بمعنى القناة أو (بيث صريا) أي محل الصدع أو الشق (دليل الراغبين ص77 و647).

(2) كانت حدياب (Adiabene) تمتد من نهر الزاب الكبير إلى الزاب الصغير ومن دجلة إلى اذربيجان وقاعدتها اربل أو حزة. ولما كثر سكان الموصل قسمت حدياب إلى قسمين هما اربل والموصل.

(3) كانت بيث كرمايي أو بيث كرماي أو باجرمي واقعة في شرقي دجلة بين دجلة والزاب الصغير وجبل حمرين ونهر ديالي.

(4) دعا المؤرخون الآرميون كركوك (كرخاد بيث سلوخ) أي مدينة أو حصن سلوقس.

(5) Browne (L.E): The Eclipse of Christianity in Asia. (Cambridge, 1933; p.8-9).

يتكلمون لغة واحدة ثم تغيرت تلك اللغة وتفرعت منها عدة فروع انطبع كل منها بطابع المكان والبيئة على مقتضى ناموس الارتقاء ومن تلك الفروع اللغة الآرمية السائدة يوم ذاك في العراق والشام وفي بلاد فارس وبين الشعوب المجاورة لها.

ثم امتدت ظلالها إلى وادي النيل وآسية الصغرى وشمالي جزيرة العرب حتى حدود الحجاز. وبقيت دهوراً طوالا اللغة الرسمية والتجارية للأمم الحية في القرون الأولى قبل الميلاد في بابل وآشور وفارس ومصر وفلسطين[1].

لقد كانت اللغة الآرمية من القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن السابع للميلاد اللغة السامية الوحيدة - إن استثنينا اللغة العربية - ترجماناً للإعراب عن آراء الساميين والتعبير عن أفكارهم في اثني عشر قرناً. وظلت بعد استيلاء الفرس على بابل لغة رسمية. وكان ملوكهم يصدرون مراسيمهم بها[2]. وتعلم اليهود هذه اللغة في منفاهم في أرض بابل. وكتبوا بها كتاباتهم الدينية والادبية. وكانت إحدى اللغات الثلاث في بلاط الأكاسرة[3]. وورد في كتاب تجارة العراق

---

(1) العرب قبل الإسلام ص80. واللؤلؤ المنثور ص15. والعصور القديمة ص109 - 110 و124 - 125 و140. وتاريخ كلدو وآثور 1: 160 - 162. ومجلة المشرق للآباء اليسوعيين في بيروت 34: 497 و36: 75. وتاريخ اللغات السامية لإسرائيل ولفنسون (مصر 1929) ص125 و144 - 149. واللمعة الشهية للمطران اقليميس يوسف داوود (الموصل 1896) ص192 - 193.

Maspero (G): Histoire Ancienne des Peuples de L'Orient. (Paris, 1899; p.775. 776).

Wigram (W): The Assyrians and their Neighbours. (London, 1929; p.27-29).

La Littérature Syciaque. (p.4).

(2) سفر عزرا 4: 7.

(3) مجلة لغة العرب 4: 265.

قديماً وحديثاً: «واكبر دليل على اتساع تجارتهم (تجارة الآرميين) انتشار لغتهم انتشاراً عجيباً حتى اصبحت شبيهة باللغة الفرنسية في آسية الغربية كما جاء تشبهها في أحد الكتب الإنكيزية[1].

لقد تفقه نصارى العراق في اللغة الآرمية منذ انتشار النصرانية بل تفانى رؤساؤهم في تدريسها لرعاياهم حتى يقبلوا على قراءة الكتب المقدسة. فكانوا يتلون بها الادعية في أثناء عبادتهم وفي غضون حفلاتهم الدينية. وقد انتشرت يومئذ في سائر الكنائس الشرقية تلاوة الكتب الإلهية وانشاد المزامير[2].

شاد اساقفة العراق في كل مدينة وقرية كنائس وأقاموا في داخلها أو في جوارها كتاباً أو مدرسة يتعلم فيها ابناء طائفتهم مبادئ القراءة والكتابة وسائر العلوم المعروفة في تلك الأونة ولا سيما المعارف الدينية. وساعد على انتشار القراءة والكتابة وتقدمهما في العراق الشبان العراقيون النصارى الذين كانوا يقصدون بلاد الروم واليونان[3] طلباً للعلم. فإذا رجعوا إلى أوطانهم درسوا في معاهدها التهذيبية فرفعوا منار المعارف وشادوا قباب العلوم. هذا ما عدا المجامع العامة التي كانت تلتئم من حين إلى آخر يتداول في اثنائها رؤساؤها شؤون الديرة والمدارس والكنائس. منها مجمع الجاثليق أقاق (سنة 486م) ومجمع الجاثليق باباي (سنة 497م) وبعدهما مجمع الجاثليق مارأبا (سنة 544م) ومجمع الجاثليق يشوعياب الأول الارزوني[4]

---

(1) تجارة العراق قديماً وحديثاً لمعالي يوسف رزق الله غنيمة (بغداد 1922) ص17.

(2) ذخيرة الأذهان: 43 ـ 44.

(3) تاريخ كلدو وآثور 2: 272.

(4) الارزوني نسبة إلى ارزون التي كانت تمتد من نهر دجلة الشرقي إلى مياه بطمان ومن سعرد إلى ميافارقين وأشهر مدنها أرزون وسمرده فكانت أرزون بين سعرد وميافارقين

(سنة 585م) ومجمع الجاثليق سبر يشوع الأول (سنة 596م) ومجمع الجاثليق غريغور (سنة 605م)[1].

أنواع المعاهد العلمية:

وهب نصارى العراق يتبارون في نشر المعارف. فكان للمدارس من تلك المباراة نصيب واف وسهم وافر. فإنهم أسسوا في أواخر القرن الأول للميلاد وأوائل القرن الثاني كتاتيب عديدة في الكنائس ثم جدوا في مقدمها حتى اصبحت على ممر السنين من ارقى المدارس الأولية والابتدائية يؤمها الطلاب من كل صوب ليرتشفوا من مناهلها المعارف.

أخذت مدارس النصارى تتقدم وتتسع عصراً بعد عصر. ولا عجب في ذلك لأن مديريها ثابروا على إنهاضها ومعلّميها دأبوا على إلتماس كل ما يؤول إلى نجاحها. فقسموها من القرن الرابع الميلادي إلى أولية فابتدائية فثانوية فعالية. وقد شيدت معظم المدارس الأولية والابتدائية وبعض المدارس الثانوية في الكنائس وبنيت أكثر المدرس الثانوية في الأديار[2]. أما المدارس العالية فأقيمت في المدن الكبرى. ورفع

وترى أخربتها الآن في محل يقال له خراب بازار أي المدينة الخربة وتبعد نحو عشر ساعات عن سعرد.

(1) تاريخ كلدو وآثور: 147 و156 و186 و192 و197 و201 و212 و219 و272.
Labourt (J): Le Christianisme dans L'Empire Perse. (Paris, 1904; p.326-343).
Chabot (J.B): Synodicon Orientale ou Recueil des Synodes Nestoriens. (Paris, 1903; p.17-22).

(2) الأديار والديرة والديارات مفردها الدير: كلمة آرمية «ديرا» بمعنى المسكن والمنزل «دليل الراغبين ص143»، ثم أطلق على مسكن الرهبان «معجم البلدان 2: 639» ويقال على غير القياس للراهب الساكن فيه المنتسب إليه «ديار وديراني» وللراهبة «ديرية وديرانية» والصواب أنه من اللغة الآرمية «ديرنيا وديرنيتا».

النصارى منذ أوائل القرن الرابع للميلاد دعائم أربع كليات لاهوتية منظمة واسعة الجوانب في مدينة الرها[1] ونصيبين والمدائن والأهواز وبقيت زاهية عدة عصور[2].

لقد سارت مدارس النصارى بموجب أنظمة وقوانين صارمة وقد دبر شؤون كل منها مدير وأساتذة درسوا تلاميذها العلوم على اختلاف انواعها ولا سيما العلوم الفلسفية واللاهوتية. فكان أعضاء مدرسة أو كلية سلوقية يدعون «أخوة» وتلاميذها يعيشون في القلالي[3]. يقومون بالواجبات والعبادات الرهبانية. فلم يكن يسمح لهم بالزواج وأن فعلوا ذلك طردوا من الجمعية[4].

وفرضت قوانين مدرسة دير مار ميخائيل[5]. على المدرسين أن يراعوا حقوق تلاميذهم كما فرضت على التلاميذ أن يطيعوا المدرسين طاعة الابناء لآبائهم إذ الولادة بالعلم أجل من الولادة بالطبع[6].

---

(1) الرها (Edesse) مدينة في الجزيرة كانت تسمى في عهد السلوقيين «كالوري» وتأويلها الينبوع الحسن. فاختصر كتبة الآرمية هذه الكلمة وقالوا «اورهاي» وأخذها عنهم العرب وقالوا «الرها» وتدعى اليوم أورفة.

(2) تاريخ نصارى العراق ص19 ـ 32.

(3) أصل كلمة القلاية من Cella اللاتينية أو من Kella اليونانية بمعنى المخزن أو بيت المؤونة. ثم اطلقت على الكوخ أو الصومعة التي ينفرد بها الراهب. وأخذ الكتبة الآرميون هذه الكلمة «قليتا» من اليونانية ثم توسعوا فيها فأطلقت على دار الأسقف أو البطريرك ومنهم وافت إلى العربية بلفظة القلاية (معجمان عربية ـ سامية ص180 ـ 181).

(4) خلاصة تاريخية ص175.

(5) أسس هذا الدير مار ميخائيل في أواسط القرن الرابع للميلاد. وسوف نتكلم عن مدرسته في الفصول الآتية.

(6) مجلة النجم 7: 263.

وطلب مار داد يشوع (المتوفى سنة 604م) من رهبانه أن يعرفوا القراءة[1] كما طلب مار غريغور مطران نصيبين (المتوفى سنة 612م) من طلاب مدرسته أن يلازموا الصوم والصلاة[2]. أما مار امه الارزوني (المتوفى سنة 650م) فقد ألزم تلاميذ المدارس أن يشدوا الزنانير[3] في وسطهم ليتميزوا بذلك عن غيرهم[4].

إن أول المؤسسات العلمية لدى نصارى العراق «الكتاتيب» وقد تعددت انواعها وتنوعت مناهجها. فكان منها لتعليم الأيتام ومنها لتهذيب أولاد المعوزين. ولم تكن هذه الكتاتيب صغيرة فقد تعلم فيها مئات من التلاميذ ووقف لها الأهلون أوقافاً كثيرة. هذا فضلاً عن الملاجئ التي كان يدير شؤونها الشمامسة[5] الانجيليون برئاسة كاهن يقوم بواجباتهم الكنسية[6].

اهتم النصارى في نشر المعارف بين طبقات الشعب كافة وأقاموا دعائم مدارس ابتدائية فثانوية فعالية. فكان الطلاب يجدون بين جدرانها كل التسهيلات مما تساعدهم على اقتباس العلوم. فهنا حلقات لتدريس

---

(1) خلاصة تاريخية ص174.

(2) ذخيرة الأذهان: 1: 197. والتاريخ السعردي: 187.

(3) الزنانير مفردها الزنار: كلمة يونانية النجار يراد بها الحزام أو المنطقة (معجميات ص220).

(4) التاريخ السعردي 2: 310.

(5) الشمامسة مفردها الشماس: كلمة ارمية معناها الخادم وهو دون الكاهن ومعاونه في أثناء القيام بشؤون الخدم الكهنوتية. والكاهن كلمة عبرية بمعنى مدعي معرفة الاسرار أو أحوال الغيب وتطلق على من يقرب الذبائح والمحرقات. ثم دخلت اللغة الآرمية فالعربية (معجميات ص179 و 184). وأما اليوم فيراد بالكاهن لدى النصارى راعي الدين وخادم الأسرار المقدسة.

(6) Synodicon Orientale (p.265, 307, 384, 404-405).

الصرف والنحو والآداب. وهناك حلقات لتفسير الكتب المقدسة والمنطق والفلسفة. وهنالك حلقات لتعليم الفقه الكنسي واللاهوت والطب يشرف على هذه وتلك الأساتذة والعلماء والفلاسفة والأطباء. وما عدا هذه المدارس فهناك نواد للتدريس ومجالس للعلوم وخزائن للكتب يؤمها مئات من الدارسين وألوف من المطالعين يتصفحون أسفارها ويستفيدون من شيوخها ويستشيرون من يتردد إليها.

برامج الدروس:

جرى نصارى العراق كما رأينا في اعلاه في ميدان المعارف وبنوا مدارس طار صيتها في الآفاق. ثم تصدر للتدريس فيها جمهور غفير من العلماء والأدباء والفلاسفة. فدرسوا في ساحاتها العلوم الدينية وعلموا أصولها وفروعها. وفسروا الكتب المقدسة وجدوا في الكشف عن دقائق أغراضها وخفايا مقاصدها. وبلغوا الغاية القصوى في الجدل الديني. وفازوا بقصب السبق في علم اللآهوت. ونالوا الحظ الأوفى في الفقه الكنسي وحازوا القدح المعلى في تنظيم الطقوس[1] الكنسية[2]. قال الكردينال أوجين تسران: «أما تقدم الدروس اللآهوتية في الكنيسة الكلدانية في أثناء هذا العصر (العصر الخامس الميلادي) فقد كان منوطاً بتقدم المدارس التي كانت مركزاً مهماً

(1) الطقوس مفردها الطقس: كلمة ارمية النجار معناها الترتيب أو النظام. وقد اطلقت على مجموع الصلوات والتضرعات المنسقة والمنظمة لأيام السنة كافة.

(2) راجع مقالاتنا في مجلة النور التي يصدرها نخبة من أعضاء أخوية قلب يسوع الاقدس الكلدانية في بغداد عن العلوم الدينية عند أدباء اللغة الآرمية النصارى: العدد الثامن من السنة الأولى (1950) ص1 ـ 7. والعدد التاسع ص1 ـ 6. والعدد الحادي عشر ص1 ـ 6. والعدد الأول من السنة الثانية (1951) ص28 ـ 32. والعدد الثالث ص116 ـ 123.

لتوسع الاشغال النظرية كما كان الحال في الغرب خلال القرون المتوسطة»[1].

واجتهد نصارى الرافدين في تدريس اللغة الآرمية ففصلوا مفرداتها وبحثوا عن معانيها ثم أوضحوا قواعدها وأحكامها وأصولها لتكون سهلة المأخذ قريبة إلى الأذهان[2]. ودرسوا ما عدا اللغة الآرمية اللغة العربية بقواعدها وآدابها[3]. فقد علموا أصول الإنشاء وفنون الشعر وضروب علم البيان فبرعوا فيها واتقنوا أساليبها ورفعوا شأنها. ومنذ المائة الخامسة للميلاد أخذوا يعلمون اللغة اليونانية بأحكامها وفروعها هذا فضلاً عن الترجمة من هذه اللغة وإليها[4]. وعلموا التاريخ القديم والحديث كما علموا التاريخ الكنسي بأصوله وعلقوا على قصص القديسين الذين نالوا إكليل الاستشهاد في غضون الاضطهادات ذاكرين في مطاويها جغرافية البلاد وأيام الخلقة وطبقات الأرض وما طرأ عليها من التقلبات والتغيرات.

هذا ودرس نصارى العراق في معاهدهم العلمية الفلسفة وتبحروا في أحكامها ونظرياتها ولا سيما الفلسفة اليونانية. فأقبلوا على قراءتها وترجمتها واتقنوا حفظها ونشروا مصنفاتها. وكانت لمؤلفات ارسطو المنزلة الأولى عندهم. فقربوا منالها وكشفوا الستار عن اسرارها. ثم تكلموا عن خلود النفس وتكوين العالم وأتصال العقل بالإنسان

---

(1) خلاصة تاريخية ص155.

(2) طالع مقالنا في مجلة النور (2: 155) عن العلوم اللسانية عند أدباء اللغة الآرمية النصارى.

(3) تاريخ كلدو وآثور: التوطئة 2: 7.

(4) تاريخ الادب السرياني ص162. وتاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان (مصر 1914 - 1920) 3: 128.

والإرادة المطلقة وغيرها من الابحاث التي لا تزال الشغل الشاغل لدى فلاسفة اليوم[1]. وقد لجأ النصارى إلى الفلسفة اليونانية ليستعينوا بها على الجدل وليؤيدوا تعاليمهم وعقائدهم فامتزجت روح فلسفة اليونان بروح فلسفة الشرقيين.

ومن مناهج مدارس النصارى تدريس طرق التجارة والصرافة والاقتصاد. وتعليم العلوم الفلكية وفقاً لمبادئ الديانة النصرانية. واتقان العلوم الرياضية على اختلاف انواعها وتعدد فروعها هذا فضلاً عن الرسم والموسيقى.

ودرسوا في مدارسهم العالية علوم الطب والمعالجة. فعززوا صناعتها وبثوا فوائدها وغالوا في الوقوف على أصولها واكتشفوا عدداً من انواع العقاقير التي لم تكن معروفة من قبل. ثم شادوا المستشفيات وبنوا المدارس الطبية كما أنهم لم يغفلوا عن تدريس الكيمياء. فكانوا نظير الأقدمين يبحثون عن الأكسير الذي يحول المعدن ذهباً ابريزاً. أما التاريخ الطبيعي فقد بحثوا فيه عن الحيوان والنبات والإنسان معتمدين في مباحثهم على التوراة والعقائد النصرانية[2]. جاء في تاريخ كلدو وآثور: «فكانوا (أي النصارى) يعلمون في مدارس الرها ونصيبين والمدائن وديرقنى اللغات الكلدانية والسريانية واليونانية والنحو والمنطق والشعر والهندسة والموسيقى والفلك والطب»[3]. وقال أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام مفاده: كان للنصارى في ما بين النهرين نحو خمسين مدرسة درسوا فيها العلوم الآرمية واليونانية وقد ألحقوا بهذه

---

(1) اطلب مقالتنا في مجلة النور: العدد السابع من السنة الأولى (1950) عن التدوين والتصنيف عند أدباء اللغة الآرمية النصارى.

(2) La Littérature Syriaque. (p.283).

(3) تاريخ كلدو وآثور: التوطئة 2: 7.

المدارس مكتبات. وكان في اديارهم شيء كثير من الأسفار ومن الكتب المترجمة إلى الآداب النصرانية من مؤلفات أرسطو وجالينوس وسقراط. لأنهم كانوا محور الدائرة العلمية في ذلك العصر. ونقلة الثقافة اليونانية إلى الامبراطورية الفارسية ثم إلى الخلافة العباسية[1].

تلك كانت الحركة العلمية في مدارس نصارى العراق قبل الإسلام. وتلك كانت الدروس التي ألقيت في صفوف معاهدهم المختلفة نستطيع أن نحصرها في الجدول الآتي:

1 ـ العلوم الدينية: تفسير الكتب المقدسة وعلم اللآهوت والفقه الكنسي والأحكام البيعية والطقوس الكنسية.

2 ـ العلوم العقلية: الفلسفة الأدبية والعقلية والمنطق وعلم الجدل وعلم ما وراء الطبيعة والطب والكيمياء والطبيعيات.

3 ـ العلوم الأدبية: اللغة الآرمية واليونانية والعربية وقواعدها وآدابها والبيان والإنشاء والعروض.

4 ـ العلوم الرياضية: الفلك والهندسة والحساب والجبر والمساحة وما يتصل بها والموسيقى والرسم.

5 ـ العلوم الاجتماعية: التاريخ والجغرافية وعلم طبقات الأرض والحق المدني والشرائع والتجارة.

---

(1) ضحى الإسلام لأحمد أمين (مصر 1938) 2: 59 ـ 60.

الفصل الخامس

مدارس الكنائس النصرانية

مدارس الكنائس النصرانية

مدارس الكنائس من أقدم مدارس العراق بعد الميلاد. وكانت في أول الأمر كتاتيب للصبيان يدرسون على رحلاتها مبادئ الدين والكتابة والقراءة. ثم تقدمت على مرور الزمن فاصبحت أكثرها مدارس أولية فابتدائية. ومن يخرج منها يقصد مدارس الديارات أو يسافر إلى بلاد الروم أو اليونان للتخصص في فرع من الفروع العلمية.

شيدت المدرسة النصرانية الأولى في الكنائس. ويبدو أن أول كتاب بني في المدائن في كنيسة كوخي العظيمة التي أقام دعائمها الرسول مار ماري (المتوفى سنة 82م). وقد ذكر المؤرخ ماري بن سليمان[1] هذه الكنيسة إذ قال: «إنها كانت أكواخاً لأكرة[2] ماردنشاه رئيس قطيسفون. ولما شفى مار ماري ابنته استوهبها منه. ومار أبا وسعها بمال عبد المسيح الحيري»[3] ثم طفق الجثالقة والاساقفة يبنون في كل دير أو قرية أو مدينة كنيسة أو كنيستين أو أكثر في داخلها أو في جوارها مدرسة ليتعلم رعاياهم في صفوفها الآداب الدينية والقراءة والكتابة. ولما مر خالد بن الوليد

(1) أخبار فطاركة كرسي المشرق ص5.

(2) الأكرة مفردها الاكار: كلمة ارمية الأصل معناها الفلاح أو الزراع.

(3) الحيري نسبة إلى مدينة الحيرة: تقع في جنوبي الكوفة على بعد ثلاثة أميال منها. وسوف نتكلم عن مدارسها في الفصول الآتية.

بعين التمر[1] وجد في بيعة[2] قرية من قراها اسمها النقيرة صبياناً يتعلمون الكتابة. وكان بينهم حمران مولى عثمان بن عفان[3]. ولما سار إلى عانة (عانات) خرج إليه بطريقها[4] فطلب الصلح فصالحه وأعطاه ما أراد بشرط ان لا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة[5]. قال المستشرق الفرنسي دوفال: «إن النصارى كانوا يدرسون في المدارس الملحقة بالكنائس والديارات»[6]. وقال لابور: «إن دور التثقيف انتشرت في المدن كلها وفي القرى وفي أغلب الديرة»[7].

إن أول من جد في بناء مدارس الكنائس جثالقة المدائن أمثال إبراهيم الكسكري[8] (المتوفى سنة 149م) وشحلوفا (المتوفى سنة 244م) وإسحاق (المتوفى سنة 411م)[9]. ثم اقتفى آثارهم المطارنة[10]

---

(1) عين التمر بلدة قريبة من الانبار غربي الكوفة.

(2) البيعة «بيعثا» كلمة آرمية النجار معناها البيضة أو القبة اشارة إلى شكل بناء الكنائس قديماً. وقد ورد في معجم اللغة الآرمية للمطران توما أودو (الموصل 1897) 1: 74 ما يأتي: «للبيعة جمعان: الأول (بيعي، والثاني (بيعاثا). فالجمع (بيعي) يستعمل غالباً للدلالة على بيض الحيوانات. أما الجمع (بيعاثا) فيطلق على كل ما يشبه البيض كالقبة وغيرها».

(3) معجم البلدان 4: 807 ـ 808.

(4) البطريق كلمة يونانية الأصل بمعنى قائد جيش المشاة (معجميات ص222) ويراد بها النبيل.

(5) كتاب الخراج لأبي يوسف (مصر 1346هـ) ص175.

(6) La Littérature Syriaque. (P.4).

(7) Le Christianisme dans L'Empire Perse (p.289).

(8) الكسكري نسبة الى كسكر: مدينة تقع قرب واسط مدينة الحجاج على نهر دجلة المندرس بين بغداد والبصرة. وستتكلم عن مدارسها في الفصول القادمة.

(9) التاريخ الكنسي 2: 25 ـ 27 و47. وذخيرة الاذمان 1: 56 و102. وأخبار فطاركة كرسي المشرق ص30. والمجدل ص24.

(10) المطارنة مفردها المطران: كلمة يونانية أصلها (الطرايوليط) ومعناها رئيس العاصمة يراد بها الأسقف أو رئيس الاساقفة المقيم في مدينة كبيرة.

والاساقفة وغيرهم. فقد وقف لطلاب المكاتب مار ميخا البانوهدري[1] (القرن الرابع الميلادي) أموالاً طائلة[2]. وأسس إبراهيم النتفري[3] (أواسط القرن السادس للميلاد) عدة مدارس في حدياب[4]. وشاد كتاتيب في أماكن كثيرة الراهب دانيال المعروف بالحزين (القرن السادس الميلادي) وحنانا الحديابي وتلاميذه (أواخر القرن السادس للميلاد) والرهبان الذين نبغوا في عهد الجاثليق يشوعياب الارزوني الأول (المتوفى سنة 595م) والراهب كيوركيس الشهيد (المتوفى سنة 615م)[5]. فقد سنوا لها انظمة وقوانين وفتشوا أحوالها وبذلوا الجهد في سبيل تقدمها. بل إن اليشاع بر قوزبايي (المتوفى سنة 509م) وبرحذ بشبا أسقف حلوان[6] (اواخر القرن السادس وأوائل السابع الميلادي) وميخا الجرمقي أو الجرمقاني[7] (أوائل القرن السابع للميلاد) وغيرهم حبروا مقالات في تأسيس معاهد العلم

(1) البانوهدري نسبة إلى بيث نوهدرا أو بانهدرا أو بانهذرا أو باهذرا: كانت تشمل قضاء زاخو وقسما من قضاء دهوك إذ كانت تمتد من نهر الخابور الاصغر إلى نهر دجلة.

(2) سير الشهداء 3: 513. وذخيرة الأذهان 1: 67.

(3) النتفري نسبة إلى نتفرى: مدينة كانت تقع في جوار أربل.

(4) تاريخ الموصل 2: 20.

(5) ذخيرة الأذهان 1: 181. واخبار فطاركة كرسي المشرق ص56. ومجلة النجم 10: 340 - 341.

Le Christianisme dans L'Empire Perse. (p.215. 225-230).

(6) قال أبو الفداء في كتابه تقويم البلدان (باريس 1840) ص: 307 «آخر حد العراق من جهة الجبل بينها وبين بغداد خمس مراحل».

(7) الجرمقي أو الجرمقاني «مفرد الجرامقة» معربة عن اصلها الآرمي «جرمقايا»: قوم اختلف المؤرخون في اصلهم. فقال بعضهم أنهم من الفرس. وقال آخرون انهم من الآرميين أو النبطيين. وقد تفرقوا في بلاد العرب والعراق والجزيرة. أما لغتهم فكانت الآرمية. (راجع تاريخ الموصل 1: 45 - 50).

وذكروا طرق إدارتها وكتبوا في اعداد معلميها ونشروا أساليب ايواء تلاميذها[1].

لقد شاد نصارى وادي الرافدين مدارس في أغلب كنائسهم ومعابدهم غير إن اسماءها لم تصل إلينا لما أصابها من الأهوال والاضطهادات والغارات. وقد بنوا في مطاوي القرون الثلاثة الأولى للميلاد كنائس عديدة[2]. ووقف الآثاريون على كنائس قديمة مطمورة في أرض العراق يرتقي عهدها إلى العصر الرابع والخامس والسادس للميلاد[3]. ومن أجمل وأكبر البيع والكنائس في تلك الازمنة: كنائس الحيرة[4] والمدائن[5] وتكريت[6] وكنيسة مار دانيال في بابل[7].

ومن أشهر كتاتيب الكنائس التي بلغت إلينا أسماؤها ووافى ذكرها في بطون التاريخ: مكاتب حربغلال[8]

---

(1) تاريخ كلدو وآثور 2: 275 و287 و 294 ـ 298. وخلاصة تاريخية ص157. وتاريخ الادب السرياني ص188 ـ 189.

(2) تاريخ كلدو وآثور 2: 5.

(3) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية للأب لويس شيخو (بيروت 1912 ـ 1919) 2: 346 و357. ومجلة النجم 4: 258 ـ 262.

Bell (G): Amurath to Amurath. (London, 1911; p.247- 288).

(4) الحيرة ص49 ـ 55. والنصرانية وآدابها 1: 85 و2: 346. وتقويم البلدان ص299.

(5) راجع عن كنائس المدائن مقالنا في مجلة النجم 11: 338 ـ 339.

(6) ذخيرة الأذهان 1: 326 ـ 327 وعصر السريان الذهبي للفيكنت دي طرازي (بيروت 1946) ص48 ـ 50 و53 و59 ـ 61.

(7) ذخيرة الأذهان 1: 102.

(8) الدبورة في مملكتي الفرس والعرب ليشوعد ناح تعريب المطران بولص شيخو (الموصل 1939) عدد 140. وتاريخ الموصل 2: 19.

كانت حربغلال أو حرباث كلال مدينة فوق نهر الزاب الصغير أي في شرقي كركوك من ناحية لارب. وجاء اسمها في كتاب المجدل (ص122) باذيال.

والرستاق[1] في مركا[2] (مرج الموصل)[3] وبابغاش[4].
وكتاتيب بيع حدياب[5] واربل وكسكر[6] وعانة[7] وغيرها من مباني الثقافة التي كانت مبثوثة في بقية أقطار باجرمي وبيث ارمايي[8].

---

(1) الرستاق أو الرزداق معربة عن أصلها الآرمي (روستاقا) ومعناها السواد والقرى (دليل الراغبين ص745).
(2) مركا: كلمة ارمية الأصل بمعنى المرج (دليل الراغبين ص416).
(3) مرج الموصل ويعرف بمرج أبي عبيدة عن جانبها الشرقي: موضع بين الجبال في منخفض من الارض شبيه بالغور فيه مروج وقرى. ولاية حسنة واسعة على جبالها قلاع (معجم البلدان 4: 458 ـ 459). وكان مرج الموصل يشتمل إذ ذاك على قضائي العقر والزيبار الحاليين.
(4) تاريخ الموصل 2: 19
كانت بابغاش أو بيت بغاش على ضفة الزاب الأكبر وقاعدتها باي وتدعى لليوم بياو وهي في شمال غربي راو ندوز على مسافة خمس ساعات منها..
(5) الديورة في مملكتي الفرس والعرب عدد 59 و62. وتاريخ الموصل 2: 19 ـ 20.
(6) الديورة في مملكتي الفرس والغرب عدد 14 و38 و56 و74 و101.
(7) كتاب الخراج لأبي يوسف ص175.
(8) قد قيل لبيث ارمايي ولأرض البصرة بعد فتوحات الإسلام العراق العربي.

الفصل السادس

التدريس في الديارات النصرانية

التدريس في الديارات النصرانية

اعتقد بعض المؤرخين المتأخرين إن مار اوجين المصري (المتوفى سنة 363م) بعدما ترهب في دير باخوميس في مصر قصد العراق ونشر الرهبانية في انحائه[1]. وإذا دققنا النظر في هذا الاعتقاد نراه ادعاء فارغاً وزعماً باطلاً إذ نشأت الحياة الرهبانية في بلادنا في القرن الثالث للميلاد[2] وانتشرت في أوائل القرن الرابع بمساعي جدودنا الابرار. وقد بلغت إلينا كتابات من هذا القرن تذكر اسماء الرهبان. ومن أهم هذه الكتابات: حياة الراهبين مار كوريا ومار شامونا ومقالة افرهاط الحكيم الفارسي (المتوفى سنة 346م)[3]. التي بعثها إلى رئيس دير تبحث عن

---

(1) مجلة المشرق 32: 283.

(2) أصدق ما كان عن تاريخ لبنان للفيكنت فيليب دي طرازي (بيروت 1948) ص269. وأثر قديم في العراق: دير الربان هرمزد لكور كيس عواد (الموصل 1934) ص61.

(3) ولد افرهاط مجوسياً في إحدى مدن فارس فلقب بالحكيم الفارسي. ثم دان بالنصرانية وتهذب وترهب. ثم صار رئيس دير وهو من المجلين في حلبة الادب ومن أجل حملة العلم في زمانه. وقد وضع عدة كتب تعد خير مثال يتحداه مريدو البلاغة الآرمية في الكتابة. ومن أنفس مؤلفاته كتاب البينات حوى ثلاثاً وعشرين مقالة كسرها على بابين: الباب الأول الأول دبجه بعشر مقالات في الإيمان والأعمال الروحية. والباب الثاني نمقه بثلاث عشرة مقالة في المسيح ومريم. وكان قد طوى هذه المقالات على نسق الحروف الابجدية الواحد تلو الآخر. ثم الحق بها مقالة أخرى حسنة التعبير كناها بالعنقود وسقها من درر الآداب النصرانية (راجع: تاريخ كلدوا وآثور 2: 29 و45. والدرر النفيسة ص468. والؤلؤ المنثور ص195).

قوانين الرهبان. ودون في مطاويها النصائح التقوية المفيدة. وقد دعاهم (المنفردين أو المتبتلين أو بني العهد) وسمى الراهبات (المتبتلات أو بنات العهد). ومما سطره إلى صديق له: «اقرأ وطالع أنت وأخوتك أبناء السلام وأبناء ايماننا». وقال في موضع آخر: «هذب نفسك وثقف أخوتك أبناء كنيستك»[1]. وفي الاضطهاد الأربعيني (339 ـ 379م) أمر سابور الثاني (309 ـ 379م) بتخريب جميع الديرة وقتل عدد لا يحصى من الرهبان والراهبات. وما كادت الديرة تقوم من كبوتها حتى أمر بهدمها يزدجرد الأول (399 ـ 420م) واقتص أثره ابنه وارهاران الخامس (420 ـ 438م) فلم يترك ديراً إلّا دكّه. لقد صحبت ديارات العراق الزمن وتقلبت مع الاضطهادات مدة ثلاثة قرون حتى جدد أحوالها إبراهيم الكبير الكسكري الملقب بأبي الرهبان (المتوفى سنة 588م)[2] وما برحت تتقدم وتترقى في غضون القرن السادس والسابع للميلاد حتى بلغت أوج الكمال.

نمت الديارات وتعددت في أنحاء البلاد العراقية فكانت كحصون محصنة أو مستعمرات رهبانية في داخلها بيع بديعة وحولها دساكر عديدة شيدت في مواضع منقطعة عن الناس بين الحدائق والرياض أو فوق قمم الجبال أو على الروابي المطلة على الأودية الخصبة والسهول الفسيحة والغابات الكثيفة[3]. فقد بني في الحيرة دير اللج ودير هند الكبرى ودير الأعور ودير الجرعة ودير حنظلة. وكان في نواحي البصرة دير الدردار.

---

(1) تاريخ كلدو وآثور 2: 29 و35 و256. وأثر قديم في العراق ص61.
Bibliotheca Orientalis. (Vol. III, Part. 1. P. 85). Le Christianisme dans L'Empire Perse. (P.28-31).

(2) سنتكلم عن إبراهيم الكبير الكسكري في بحث مدارس كسكر.

(3) معجم البلدان 2: 639. وخلاصة تاريخية ص174.

وبين الكوفة والقادسية دير مار سرجس. وفي نواحي سر من رأي دير السوسي. وبين أرض الموصل وأرض باجرمي دير العذارى. وفي شرقي الموصل دير مار متى وغيرها[1]. ووضع المؤلفون مصنفات تبحث عن اسباب تأسيس بعض الديرة[2]. قال القديس ايرونيمس: «لا بلاد بعد مصر نما فيها الرهبان أكثر من بلاد ما بين النهرين»[3].

كان رهبان العراق وأثرياؤه يسعون لاتقان هندسة الديارات وينفقون الأموال الطائلة في سبيل تجميلها. وكان عددها عند ظهور الإسلام زهاء مائة دير وقد كثرت بعد الفتوحات الإسلامية[4]. قال الحموي: «وكان أهل ثلاث بيوتات يتبارون في البيع وربها أهل المنذر بالحيرة وغسان بالشام وبنو الحارث بن كعب بنجران. وبنوا دياراتهم في المواضع النزهة الكثيرة الشجر والرياض والغدران. ويجعلون في حيطانها الفسافس وفي سقوفها الذهب والصور. وكان بنو الحارث بن كعب على ذلك إلى أن جاء الإسلام»[5].

وكان في أكثر الاديار العراقية مدرسة يتلقى بين جدرانها المبتدئون[6] والرهبان وغيرهم أفانين العلوم. فكانت نظير جمعيات منظمة تقيدها قوانين ويسوسها رئيس يقال له (ربان) أي معلمنا أو يقال له (مفسر)

---

(1) تاريخ نصارى العراق ص22 ـ 25.

(2) تاريخ الأدب السرياني ص190.

(3) مجلة المشرق 31: 801 ـ 802.

(4) تاريخ كلدو وآثور 2: 268.

Tfinkdji (J): L'Eglise Chaldéenne Catholique Autrefois et Aujourd' hui. (Paris, 1913, p.6).

(5) معجم البلدان 2: 687.

(6) المبتدئون مفردها المبتديء: يراد به من يدخل سلك الرهبانية فيتدرب على أعمالها عدة سنين قبل أن يصبح راهباً.

لأن من أخص وظائفه تفسير الكتاب المقدس وتحت امرته عدة أساتذة عرفوا بالعلم والفضيلة. فقد درس في صنوفها شرح الكتب الإلهية واللاهوت والفلسفة والمنطق وسير القديسين والشهداء وقوانين الحياة النسكية وأصول العبادات والطقوس الدينية وآداب اللغة الأرمية هذا فضلاً عن موضوعات علمية متعددة. وتدرجت هذه المدارس إلى مدارج الرقي حتى اصبحت كليات يدرس فيهاالعلوم العالية على اختلاف انواعها ولعدد فروعها ولا سيما بعد قيام الدولة العباسية في بغداد[1].

سارت مدارس الديارات العراقية سيراً حثيثاً إلى التقدم ونشر رهبانها المعارف في أطراف البلاد وخدموا الشعوب وساعدوهم في أثناء ضيقهم وفي غضون اضطهادهم كما كانت صوامعهم ملاذاً أميناً في الاضطرابات السياسية. فقد جدوا في استئصال الرذائل وبذلوا المساعي في تثقيف الناس يرشدونهم إلى الأعمال الصالحة والمثل العليا والفضائل السامية. وهم في الوقت نفسه قد حفظوا لنا العلوم الدينية وحافظوا على المعارف الدنيوية وأحيوا لنا علوم الأولين وأوصلوا إلينا مصنفاتهم ومؤلفاتهم. بل كانوا يهتمون كل الاهتمام بخلاص النفوس ويعنون كل العناية بخدمة مواطنيهم. فمار أوجين بعد قدومه إلى العراق أخذ هو وتلاميذه يطوفون في أنحائه ليدعوا الناس إلى الإيمان. والناسك يشو عسبران ساعد أهل قريته أيام ضيقهم وفي أثناء اضطهادهم ومات شهيداً سنة (620م). وحذا حذوهما رهبان دير قنى وأخوة مار إبراهيم الروحيون وغيرهم[2].

(1) تاريخ كلدو وآثور 2: 273. ومجلة النجم 7: 262.

(2) خلاصة تاريخية ص175. وتاريخ كلدو وآثور 2، 33 ـ 39.

Le Christianisme dans L'Empore Perse. (P. 302- 321).

إن فتوحات الرهبان اجتاحت الأرجاء النائية وتوغلت في الأنحاء القاصية. فقد فتحوا بلاد فارس وماذي والعرب وارمينية وسورية وقبرص ومصر حتى بلاد الهندي والصين[1] وتركستان وغيرها من الأقطار التي لم يستطع الوثنيون أن يفتحوها بقوة اسلحتهم القاطعة[2]. قال الكردنيال أوجين تسران «كان الرهبان أنصاراً للإيمان والأخلاق ورسلاً دعاة للنصرانية كما كان الأمر عند رهبان القرون المتوسطة الأولى الذين حافظوا على روح القداسة فيما بين البرابرة الذين دانوا بالنصرانية حديثاً»[3]. وقال وغرام: «سارت الكنيسة الآشورية من غير أن تتجهز بما تتجهز في عصرنا الجمعيات التبشيرية. فقد مدت فروعها إلى الأقاليم التي طمحت إلى فتحها اليوم الارساليات المسيحية. فمنذ أوائل القرن السادس للميلاد أقامت في مرو والصراة وسمرقند أساقفة ومطارين من أهاليها. فان المؤسسات النصرانية النسطورية قد تأصلت في البلاد وصارت وطنية بحتة»[4].

هذا وكانت الاشغال العقلية في الديرة خير حماية للنصارى إذ كانت تتوفر لرهبانها أسباب السكينة بين الكتب المختلفة والمدرسين الافذاذ[5]. وكانت

---

(1) كان الجاثليق يشوعياب الجدالي (المتوفى سنة 647م) قد أوفد سنة (636م) إلى بلاد الهند والصين مرسلين. ويخبر المؤرخون الصينيون: أن في سنة (732م) وافى من فارس راهب اسمه شيلي Chi-Lich، وفي أيام الجاثليق حنا نيشوع الثاني (المتوفى سنة 778م). نصب النساطرة في الصين أثراً حجرياً عثر عليه سنة (1615م) في مقاطعة سان كسوين قرب مدينة سيكانغو (ذخيرة الأذهان 1: 340 ـ 341).
The Eclipse of Christianity in Asia. (p.95, 98).

(2) تاريخ كلدوا وآثور: توطئة ص و.

(3) خلاصة تاريخية ص172 ـ 173.

(4) مجلة المشرق 28: 512.
The Assyrians and their Neighbours (p.58).

(5) خلاصة تاريخية ص156 و175.

في بعض الديرة مستشفيات يدير دفتها الرهبان. ففي الدير الذي بناه الجاثليق يابالاها (المتوفى سنة 420م) على شاطئ دجلة لازمت فرقتان من الرهبان خدمة المرضى والغرباء وتدبير مصالح الدير[1].

أما مكتبات الدير فكانت حافلة بالمصنفات المعروفة في تلك الآونة. وقد سطر أكثرها الرهبان والزهاد بخط جميل رائق دونه اللؤلؤ المنظوم. واشتهرت هذه المخطوطات ولا سيما مخطوطات الكتب المقدسة بنقوشها المحبرة وزخارفها الملونة إذ نمق المصورون في صحائفها احلى الصور وأودع الخطاطون في أوراقها أبدع الأقلام. وقد احصى الأب شابو المستشرق الفرنسي نيفاً وثلاثة آلاف في سبع خزائن كتب أوروبية[2]. جاء في مقدمة الناشر لكتاب الديارات: «وما كان يخلو دير من الديارات الكبيرة من خزانة كتب يجد الرهبان فيها ما ينشرون من المصنفات التي تتناول موضوعات دينية وأدبية وعلمية مختلفة. كالكتب المقدسة وتفاسيرها والفلسفة واللاهوت وسير الشهداء والقديسين والحياة النسكية والعبادات والطقوس الدينية والأدب والشعر وغير ذلك مما تحفل بها رفوفها. وكانت خزائن الكتب مجتمع الباحثين من الرهبان فيها يطالعون وفيها يؤلفون الكتب وفيها ينسخون»[3].

هذا وقد ذكر المؤرخون والأخباريون استطراداً أسماء مدارس

---

(1) ذخيرة الأذهان 1: 96.

Bibliotheca Orientalis (Vol. III, Part 11. p.869-871).

(2) أصدق ما كان عن تاريخ لبنان 1: 147 ـ 148. وخزائن الكتب القديمة ص78 ـ 101. واللؤلؤ المنثور ص22 ـ 186 و473 ـ 484 وعصر السريان الذهبي ص56 ـ 57 و80 ـ 108.

(3) الديارات للشابشتي نشره كور كيس عواد (بغداد 1951) ص31.

الديارات العراقية. وها نحن أولاء نتكلم بايجاز في الفصل الآتي عن اشهر هذه المعاهد العلمية وعمن نبغ فيها حتى عفا الدهر آثارها مراعين في ذلك تسلسل السنين وتعاقب الزمن.

الفصل السابع

مدارس الديارات النصرانية

مدارس الديارات النصرانية

مدرسة مار ماري

أقام دعائم هذه المدرسة أو هذا الاسكول[1] مار ماري الرسول (المتوفى سنة 82م) في دير قنى وسميت بأسمه. ويقع هذا الدير في الجانب الشرقي من دجلة على نحو تسعين كيلومتراً من جنوبي بغداد. وتشاهد إطلالة اليوم في شمالي العزيزية الحالية ويسميها الاهلون (تلول الدير). وقد تبعد عن ضفة دجلة زهاء كيلو مترين بينما كان الدير لدى تأسيسه أقرب إلى النهر مما هو الآن[2]. قال ياقوت: «دير قنى بضم أوله وتشديد ثانية مقصور ويعرف بدير مار ماري السليح[3] وهو على ستة عشر فرسخاً من بغداد منحدراً بين النعمانية. وهو في الجانب الشرقي معدود في أعمال النهروان. وبينه وبين دجلة ميل وعلى دجلة مقابله مدينة صغيرة يقال لها الصافية وقد خربت. ويقال له دير الاسكون أيضاً»[4].

وورد في كتاب الديارات: «وهذا الدير على ستة عشر فرسخاً من

---

(1) الاسكول: كلمة دخيلة استعارها ادباء الآرمية من اليونان بمعنى المدرسة.

(2) مجلة المشرق 37: 180. والتنبيه والاشراف ص48. ومراصد الاطلاع لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ليدن 1822) 1: 435.

(3) السليح كلمة مأخوذة من شليحا الآرمية معناها الرسول.

(4) معجم البلدان 2: 687.

بغداد منحدراً في الجانب الشرقي بينه وبين دجلة ميل ونصف وبينه وبين دير العاقول[1] بريد. وهو دير نزه عامر. وفيه مائة قلاية لرهبانه والمتبتلين فيه. لكل راهب قلاية. وهم يتبايعون هذه القلالي بينهم من ألف دينار إلى مائتي دينار إلى خمسين ديناراً. وعليه سور عظيم يحيط به وفي وسطه نهر جار»[2].

كان دير قنى في العراق حصناً يدافع عن النصرانية ومناراً يشع منه أنوار الفضائل. وقد لحد في مقبرته الواسعة الجاثليق اسحق (المتوفى سنة 411م) والجاثليق يابالاها (المتوفى سنة 420م) والجاثليق داديشوع (المتوفى سنة 456م) وغيرهم[3]. وامتازت كنيسته العظيمة بمؤسسها المدفون فيها[4]. فكان الناس يزورونها ولا سيما في يوم عيد الصليب[5] ليشتركوا في الحفلات التي يقوم بها الرهبان كما كان كل جاثليق جديد ملزماً بحسب المراسيم البيعية أن يزوروها. فبعد تنصيبه في كنيسة كوخي أو سلوقية يتوجه إليها مع جماعة من المطارنة والأساقفة وعظماء الشعب وثلة من الجنود. ثم يرجع إلى كرسيه في المدائن[6] أو إلى بغداد أيام نقل

---

(1) دير العاقول بين مدائن كسرى والنعمانية بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخاً على شاطئ دجلة كان. فاما الآن فبينه وبين دجلة مقدار ميل. وكان عنده بلد عامر وأسواق أيام كون النهروان عامراً. فأما الآن فهو بمفرده في وسط البرية وبالقرب منه دير قنى (معجم البلدان 2: 676).

(2) الديارات ص171.

(3) ذخيرة الأذهان 1: 107 و110 و120.

(4) التنبيه والاشراف ص128.

(5) عيد الصليب من الأعياد الثابتة لدى النصارى وهو يقع في اليوم الرابع عشر من شهر أيلول.

(6) المجدل ص116 و120 و122. وأخبار فطاركة كرسي المشرق ص152 و154. 155. وذخيرة الأذهان 1: 41 و157 و491.

الكرسي إليها[1]. وأما مدرسة الدير فتقلبات الزمن وتوالي الاضطهادات حالت دون وصول أخبارها الأولى إلينا كما حالت دون وصول أسماء مدرسيها وطلابها الأولين. بيد أنها قد صحبت الدهر زمناً مديداً فتقدمت حيناً وتأخرت أحياناً حتى أصبحت على تراخي السنين أكبر مدرسة أو كلية لاهوتية في أنحاء بغداد. وخرج منها أعظم مشاهير علماء النصارى. «وكان أكابر البغاددة يرسلون إليها أولادهم»[2].

وممن نشأ في اسكول مار ماري ودرس في صفوفها زهاء أربعين عاماً العالم المنطقي الذائع الصيت أبو بشر متى بن يونس (المتوفى سنة 940م)، وقرأ عليه الناس المنطق فكان يجتمع في حلقته كل يوم المئون من المشتغلين بهذا العلم ومن جملتهم الفيلسوف الأكبر الفارابي. قال ابن أبي اصيبعة: «كان أبو بشر متى بن يونان من أهل دير قنى ممن نشأ في اسكول مار ماري»[3] وقال القفطي: «متى بن يونس النصراني المنطقي أبو بشر نزيل بغداد عالم بالمنطق شارح له مكثر مطيل للكلام قصده التعليم والتفهيم وعلى كتبه وشروحه اعتماد أهل هذا الشأن في عصره ومصره»[4]. وجاء في الفهرست: «أبو بشر متى بن يونس وهو يوناني من أهل دير قنى ممن نشأ في اسكول مار ماري. قرأ على قويري وعلى دوفيل وبنيامين وعلى أبي أحمد بن كرنيب

---

(1) كان كرسي الجاثليق في المدائن. فلما تهدمت رحل إلى كرخ جدان من مدن باجرمي في جنوبي كركوك ومكث فيها مدة من الزمن حتى هدأت الأحوال. ثم نقل الكرسي إلى بغداد سنة (779م) على عهد طيمثاوس الأول (المتوفى سنة 823م) وبقي إلى سنة (1295م). راجع (مجلة النجم 1: 126. والسلاسل التاريخية للفيكنت فيليب دي طرازي «بيروت 1900» ص11 و13 و114 و162).

(2) مجلة المشرق 10: 445.

(3) عيون الأنباء في أخبار الحكماء لابن أبي اصيبعة (مصر 1299هـ) 1: 235.

(4) أخبار الحكماء لجمال الدين القفطي (مصر 1326هـ) ص212.

وإليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره»[1] أما مؤلفاته فكثيرة ومعظمها في شروح كتاب ارسطو فكتب عنه سبعين سفراً وعرب غيرها من اللغة اليونانية والآرمية[2]. وقد جرت بينه وبين أبي سعيد السيرافي مناظرة كبرى في المفاضلة بين النحو والمنطق وقد حكاها كلها أبو حيان التوحيدي[3]. ومما نجا له من آفات الزمان سفر ضخم في مكتبة باريس يرتقي عهده إلى القرن الثاني عشر للميلاد يضم بين صفحاته مقالات لارسطو معربة تعريباً دقيقاً متقناً. وقد طبع منها مقالة الشعر في لندن (سنة 1887م)[4].

ومن مدرسي كلية مار ماري الجاثليق إسرائيل (المتوفى سنة 962م). فكان من كرخ جدان وبعد ان ترهب في دير سبريشوع في واسط سقف على مدينة كسكر. ثم نصب جاثليقاً وهو من أدباء عصره وخطباء زمانه ذرب اللسان قوي الحجة. وقد اشتهر بزهده وعفافه. واكرمه الخليفة المطيع بالله (334 ـ 363هـ ـ 946 ـ 974م) لعلمه ومناقبه الجمة[5]. وذكر له أبو بركات كتاباً في أصول الديانة. وروى له ابن العسال في كتابه أصول الدين مقالة حسنة في شريعة العدل[6].

ومن تلاميذ اسكول مار ماري عبد يشوع الراهب الذي عاش في عهد

---

(1) الفهرست ص368.

(2) مجلة الضياء للشيخ إبراهيم اليازجي في مصر 2 (1899 ـ 1900) ص354. وتاريخ مختصر الدول ص285 و296. واللؤلؤ المنثور ص206. وذخيرة الأذهان 1: 431. والتنبيه والأشراف ص105.

(3) كتاب الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي (مصر 1939) 1: 107 ـ 124.

(4) كتاب المخطوطات العربية للأب لويس شيخو اليسوعي (بيروت 1924) ص19.

(5) أخبار فطاركة كرسي المشرق ص98 ـ 99. والمجدل ص91 ـ 93. وذخيرة الأذهان 1: 426 ـ 427. والتاريخ الكنسي 2: 442.

(6) كتاب المخطوطات العربية ص31.

الجاثليق عمانوئيل (المتوفى سنة 960م). فقد حبر تعزيات رقيقة العبارات وتراجم ضافية الاذيال وفصولاً مدبجة بألغاز دقيقة المعنى بعيدة المغزى[1].

ومنهم الجاثليق يشوعياب الرابع بن حزقيال (المتوفى سنة 1027م). وبعدما خرج من كلية ماري أقيم كاهناً ومديراً لها فحمدت طريقته وحسن اثره في العفة والعلم. وسقفه الجاثليق عبد يشوع الأول (المتوفى سنة 986م) على القصر والنهروانات. وانتشر ذكره بالجميل فاختبر جاثليقاً في خلافة القادر بالله (381 ـ 422هـ ـ 991 ـ 1031م)[2].

ومنهم الجاثليق سبر يشوع الثالث (المتوفى سنة 1072م). فأقيم كاهناً ثم سقف على جنديسابور وكان عالماً متضلعاً من الآداب الكنسية. وبأمر الخليفة القائم بأمر الله (422 ـ 467هـ ـ 1031 ـ 1075م) نصب جاثليقاً ومنحه براءة أيد فيها حقوقه. وقد وافى فيها: «أقامك سلطان المؤمنين جاثليقاً للنصارى القاطنين في بغداد مدينة السلام. وفي كل البلاد والأقاليم ويعلن إنك رئيسهم ورئيس الساكنين في بلاد المسلمين والذين يأتون إليها. ويأمر بأن يطيع الجميع أقوالك»[3].

هؤلاء وغيرهم أمثال مار عبدا الراهب الذي نتكلم عنه في البحث الآتي قد تثقفوا في كلية مار ماري. وقد جدد هيكل[4] كنيسته مار ايليا الثالث المعروف بأبي حليم (المتوفى سنة 1190). قال عمرو بن متى: «ولما عاد (أي ايليا) من

---

(1) ذخيرة الأذهان 1: 431.

(2) المجدل ص97. وأخبار فطاركة كرسي المشرق ص117. وذخيرة الأذهان 1: 454.

(3) ذخيرة الأذهان 1: 458 ـ 459. والتاريخ الكنسي 2: 301. وأخبار فطاركة كرسي المشرق ص121 ـ 126. والمجدل ص100 ـ 101.

(4) الهيكل كلمة مشتقة من الشمرية ومنها دخلت إلى الاكدية وعن طريق هذا اللسان ولجت بقية الألسن السامية (معجميات ص201). ويراد به صدر البيعة حيث تقام الصلاة والرتب الكنسية.

المدائن إلى القلاية بدار الروم[1] ورأى قد استولى عليها الخراب فشرع في عمارتها وعمارة البيعة ووفقه الله. وجرت الخيرات على يده واسام جماعة من المطارنة والأساقفة. . . وجدد بناء هيكل مار ماري الرسول بدير قنى وغيره من البيع والأديرة»[2]. غير أننا لا ندري الزمن الذي تم في غضونه خراب أو انقراض هذه الكلية. فقد ذكر ياقوت (المتوفى سنة 626هـ ـ 228م): «وأما الآن فلم يبق من هذا الدير غير سوره وفيه رهبان صعاليك كلنه خرب بخراب النهروان»[3]. ويبدو من كلام صاحب مراصد الاطلاع (المتوفى سنة 739هـ ـ 1338م) إن الخراب في عهده كان يشمل هذا الدير باسره إذ قال: «وهو دير عظيم شبيه بالحصن له سور عال محكم البناء. قيل فيه مائة قلاية لرهبانه يتبايعونها بينهم بثمر كثير واستولى عليه الخراب»[4].

مدرسة دير مار عبدا

في أواخر القرن الرابع للميلاد بعدما تثقف الراهب العراقي مار عبدا المعروف بعبد يشوع القناني[5] في مدرسة مار ماري المار ذكرها بنى

---

(1) كانت دار الروم أو دار الروميين في عهد الخلافة العباسية محلة خاصة للنصارى وتقع على الجزء الاسفل من نهر المهدي تلاصق محلة الشماسية أي في شرقي الصليخ اليوم، ودعيت دار الروم لأن أسرى من الروم أتى بهم المهدي وأسكنهم داراً في هذا الموضع فسميت بهم. وبقيت آهلة إلى نحو سنة 1226م). طالع (عن محلة الشماسية ودار الروم مقالنا المنشور في الجزء الأول من المجلد التاسع من مجلة سومر ص 132ـ 154).

(2) المجدل ص110 ـ 111.

(3) معجم البلدان 2: 687.

(4) مراصد الاطلاع 1: 437 ـ 438.

(5) القناني نسبة إلى قنى وهي قرية مجاورة لدير قنى. وقد أنجبت عدداً من مشاهير الناس منهم: أبو الحسن علي بن عيسى بن داود الجراح والوزير ابن الفياض والفضل بن يحيى بن فرخانشاه وغيرهم. (راجع مجلة المشرق 37: 193).

ديراً واسع الأرجاء في قرية قنى مسقط رأسه والحق به مدرسة أو كلية عظيمة الشأن. ثم ازداد عدد طلابها حتى أصبح فيها ستون مدرساً[1] علموا فيها أصول اللغة الآرمية واليونانية والعربية والعلوم الدينية والفلسفية واللاهوتية. قال المؤرخ ماري بن سليمان في كتابه أخبار فطاركة كرسي المشرق[2]: «تمهر (مار عبدا) في اسكول بلده واسيم قساً[3] وبنى ديراً عظيماً واسكولا جمع فيه جماعة علم وتنصر الناس على يده في بلد النبط وبنى العمر[4] الذي قربه التل بصرصر[5] المسمى مار صليبا»[6] وأتى في التاريخ السعردي إن الربان[7] مار عبدا «بنى ديراً عظيماً واسكولا جامعاً وصار إليه الناس من كل صقع... واستغنى من يريد التعلم باسكوله عن الخروج إلى الرها»[8].

تقدمت مدرسة مار عبدا تقدماً مطرداً وتثقف في صفوفها تلاميذ كثيرون ونبغ فيها جثالقة وأدباء وعلماء عديدون أشهرهم: مار عبد يشوع

(1) تاريخ كلدو وآثور 2: 30. وذخيرة الأذهان 1: 95 ـ 96 و107. والتاريخ السعردي: 1: 195. واللؤلؤ المنثور ص206.

(2) أخبار فطاركة كرسي المشرق ص38.

(3) القس أو القسيس جمعها القسيسون أو القسان أو القساوسة: كلمة مشتقة من الآرمية معناها الشيخ. ولما كان الكهنة في صدر النصرانية ينتخبون من بين الشيوخ لانصافهم بالحكمة والخبرة وحسن الإدارة دعي الكاهن قساً أو قسيساً.

(4) العمر (بضم أوله وإسكان ثانيه): كلمة ارمية «عومرا» بمعنى الدير والمسكن.

(5) صرصر: قريتان من سواد بغداد: صرصر العليا وصرصر السفلى وهما على ضفة نهر عيسى. وربما قيل نهر صرصر فنسب إليهما. وبين السفلى وبغداد نحو فرسخين (معجم البلدان 3: 381).

(6) صليبا كلمة ارمية النجار بمعنى الصليب.

(7) الربان كلمة ارمية الأصل معناها الأستاذ ويراد بها اصطلاحاً الراهب القسيس «اللؤلؤ المنثور ص499».

(8) تاريخ السعردي 1: 195.

(أواخر القرن الرابع للميلاد) والجاثليق مار آحي (المتوفى سنة 415م) والجاثليق مار يابالاها المتوفى سنة 420م).

كان عبد يشوع من بلد ميشان من قرية يقال لها ارفلونا. وبعد أن تهذب في اسكول مار عبدا أقيم كاهناً. فأخذ يخدم النفوس بغيرة رسولية ثم رفع دعائم دير في ميشان ورحل إلى أرض باكسايا الواقعة بين جبال حلوان وكلدية حيث شاد ديراً تألب إليه الرهبان من كل صوب. وكان الملك بهرام الرابع (388 ـ 399م) كلما مر بذلك الموضع زاره وأكرمه. وأتصل خبر فضائله بالجاثليق تومرصا (383 ـ 399م) فسقفه على دير محراق[1] بيد أن أهالي البلاد المجاورة له كانوا أشراراً فخرج ليلاً إلى جزيرة في اليمامة والبحرين وبشر بالنصرانية وبنى هناك ديراً كما بنى غيره في الحيرة. فلما قصده الناس انتقل منه وانطلق إلى ديره في ميشان وتوفي فيه[2].

وقرأ مار آحي أو أخي كما كان يعيد هذه الكلمة في خطبه على مار عبدا المار ذكره وفوض إليه أمر رهبانه ثم عينه رئيساً على ديره فكان معلماً فاضلاً ورعاً محباً للغرباء. واختير جاثليقاً بمساعي مار ماروثا[3] فمال إليه الملك

(1) كان دير محراق في أطراف الحيرة وقد أقيمت دعائمه تذكاراً لقوم نصارى أحرقوا في الحيرة.

(2) تاريخ كلدوا وآثور 2: 31. وذخيرة الأذهان 1: 96. والتاريخ السعردي 1: 198 ـ 200. والمجدل ص21. وأخبار فطاركة كرسي المشرق ص28 ـ 29. وخلاصة تاريخية ص73. وأشهر شهداء المشرق المطران ادي شير (الموصل 1900) 2: 277.

(3) كان مار ماروثا أسقف ميافارقين أو مدينة الشهداء «المتوفى في أوائل القرن الخامس الميلادي» رسول السلام عند الروم والطبيب الحاذق لدى الفرس. فقد أوفده القياصرة مراراً إلى المدائن لعقد الصلح بينهم وبين الفرس وفي كل مرة كان النجاح حليفه. وعالج يزدجرد الأول ملك الفرس وشفاه فاكرم مثواه وأعلى منزلته. وما نشر اسمه في عالم الأدب مؤلفه في شهداء المشرق الذين فازوا بسعف الاستشهاد في عهد

يزدجرد الأول (399 ـ 420م) فأرسله إلى فارس ليبحث عن أمتعة ثمينة وجواهر كريمة كانت قد حملت إليه من الهند والصين فسلبها اللصوص واحتووا عليها. فقام الجاثليق بما عهد إليه خير قيام. وانتهز الفرصة في أثناء رحلته هذه أن يزور مقابر الذين استشهدوا في الاضطهاد الأربعيني (339 ـ 379م) وجمع ما نقل من سيرهم ودونه في سفر جليل. وسطر قصة أستاذه عبدا الذي عنه أخذ قوانين النسك[1].

أما الجاثليق يابالاها أو عطاء الله فكان من مشاهير أيامه وعلماء زمانه. فتقلد رئاسة الدير بعد مار آحي وصار جاثليقاً بأمر الملك يزدجرد. وقد سيره إلى ملك القسطنطينية ثيودوسيوس الثاني (408 ـ 450م) الذي خلف أباه اركاديوس لتوثيق عهود الصلح بين الدولتين. فأحسن مثواه وخلع عليه الخلع ووهبه مالا جزيلاً. وعام (419م) بعث إلى الجاثليق صحبة أقاق أسقف امد[2] كنيسة جميلة ينقلها معه في أسفاره. وكانت مصنوعة من جلود مغشاة من الداخل بالذهب والفضة وموشحة بالانسجة النفيسة. ومن أعماله جدد بناء بيعة المدائن الكبرى وأسس غيرها وشاد ديراً فخماً في قرية دسكرة في أرض بابل وديراً آخر على شاطئ دجلة قصده رهبان

سابور الثاني في الاضطهاد الأربعيني. فقد دون هذه القصص في أثناء أسفاره إلى الأقطار الشرقية ضمنها الفصول المبتكرة عن حياة هؤلاء القديسين برز في تحبيرها وقد دبج مقدمتها بمقالة متينة السبك مبسوطة العبارة يرثي فيها هؤلاء الشهداء بعبارات تستنزف الدموع وتمزق قلب الجلمود. ونظم أناشيد في تعداد مناقبهم تتلى صباح مساء في الكنائس. ولعمري أنَّ من يقرأها يثمل من خمرة معانيها الخشوعية.

(1) أخبار فطاركة كرسي المشرق ص31. والمجدل ص25 ـ 26. وذخيرة الأذهان 1: 107 ـ 108. والتاريخ السعردي 1: 212. واللؤلؤ المنثور ص206. والتاريخ الكنسي 2: 51. وتاريخ كلدو وآثور 2: 104 و270. وتاريخ الأدب السرياني ص87. ومجلة المشرق 22: 276.

(2) مدينة امد وهي ديار بكر.

كثيرون من عدة أنحاء حتى بلغ عددهم أكثر من أربعمائة راهب. وكانوا يتكلمون لغات مختلفة فنظم منهم أربعاً وعشرين فرقة يتعاقبون في تلاوة الصلوات الليل والنهار فيتلون الأناشيد الدينية بلغاتهم أي بالآرمية واليونانية واللآتينية والقبطية. وكانت فرقتان تلازمان خدمة المرضى والغرباء وتدبير مصالح الدير. وعقد يابالاها مجمعاً في المدائن سنة (420م) حضره أثنا عشر أسقفاً أيدوا فيه قوانين مجمع الجاثليق إسحق وقوانين المجامع التي عقدت في المغرب[1].

هذا وقد أستولى الخراب على كلية مار عبدا في أيام الملك فيروز (457-484م) إذا صدر أمره الجائر باستئصال شافة البيع والديرة[2]. قال ماري بن سليمان: «وبعد عود فيروز من بلد الترك قدر أن سلامته كانت بنفسه عاد إلى شره ورام أبطال دين النصارى وعاود الترك وتقدم إلى مرزبان[3] كان له أن يهدم البيع والديارات إلى حين عوده. فهدم اسكول مار عبدا وهرب النصارى. وفي يوم واحد قتل في اجتيازه ثلثمائة رجل من النصارى»[4].

مدرسة دير مار ميخائيل

أسس مار ميخائيل[5] ديره المعروف باسمه في أواسط المائة الرابعة

---

(1) النصرانية وآدابها 1: 79 - 80. ومجلة المشرق 2: 276. وتاريخ كلدو وآثور 2: 104 - 105. وأخبار فطاركة كرسي المشرق ص32. والمجدل ص26. وخلاصة تاريخية ص174، والتاريخ الكنسي 2: 53. وذخيرة الأذهان 1: 96. والتاريخ السعردي 1: 209 - 210.

(2) التاريخ السعردي 2: 15. وتاريخ كلدو وآثور 2: 145.

(3) المرزبان كلمة فارسية الأصل معناها حاكم الحدول وحارسها.

(4) أخبار فطاركة كرسي المشرق ص42.

(5) كان مار ميخائيل من نواحي أمد «ديار بكر» من قرية سوسنة وأنضم إلى تلاميذ مار أوجين ويشر بالنصرانية في جبال قردو، ومنها أقبل إلى الموضع الذي بنى فيه ديره.

للميلاد. وهو يقع في غربي الموصل على مسافة ساعة منها ويعرف أيضاً بدير مار ميخائيل رفيق الملائكة[1] وما فتيء قائماً إلى يومنا. قال الحموي في معجمه: «دير ميخائيل وهو باعلى الموصل على ميل منها مشرف على دجلة ذو كروم ونزه حسن»[2]. وروى ابن فضل الله العمري صاحب مسالك الأبصار: «دير مار مخايل وهو على ميل من الموصل يركب دجلة في بقعة حسناء يطل على كروم وشجر بزي بحري سهلي جبلي. وبه قلالي كثيرة في غاية الظرف محفوفة بأنواع الشجر وأصناف الزهر. وله عيد يكون قبل الشعانين[3] باسبوع يخرج إليه النصارى بنسائهم وصبيانهم. ويمر لهم فيه يوم وليلة تتجاوب فيه ألحان الأغاني وقراءة الرهابين»[4].

جد مار ميخائيل في تقدم ديره وبذل أقصى سعيه في انهاضه بيد أن كوارث الزمن وتقلبات الحدثان جعلته يتقدم تارة ويتأخر تارة أخرى. فقد بلغ عدد رهبانه أيام عزه أكثر من ألف وتجددت فيه الحياة الرهبانية في مطاوي القرن الثالث عشر وكان آهلاً بالرهبان في أوائل القرن السادس عشر للميلاد[5]. أما الآن فهو خال منهم يقصده الزائرون الكثيرون لقضاء أيام الربيع لجودة هوائه وجمال موقعه.

أسس مار ميخائيل دعائم مدرسة في أرجاء ديره فأخذت تسير سيراً

---

(1) مجلة النجم 7: 258.

(2) معجم البلدان 2: 693.

(3) الشعانين أو السعانين كلمة مشتقة من اللغة العبرية «هو شعنا» أي انقذنا. وهو من الأعياد المتحولة ويقع في الأحد الذي يسبق عيد الفصح من كل سنة. وعرف في المصادر العربية بيوم السباسب (طالع المخصص لابن سيده «مصر 1320هـ» 13: 102. والتاج 1: 294).

(4) مسالك الأبصار 1: 294 ـ 298.

(5) مجلة النجم 1: 516 و7: 261.

حثيثاً في معارج العلوم حتى طار صيتها في الآفاق. فأقام لها الرؤساء والمديرين والمدرسين والقارئين والشمامسة والبوابين والطباخين والخبازين والخدم. وعين قارئين أحدهما يقرأ في النهار والآخر في الليل. ففي النهار كانت تقرأ الكتب المقدسة والتفاسير. وفي الليل كانت تتلى على جماعة الرهبان سير الآباء والأولياء. وكانت تدرس في صفوفها العلوم الفلسفية واللآهوتية وغيرها من العلوم العالية.

لقد نبغ في مدرسة دير مار ميخائيل لاهوتيون وفلاسفة وفقهاء ولغويون وشعراء وأدباء يفتخر التاريخ بذكرهم. غير أن تقلبات الأحوال حالت دون بلوغ أسمائهم إلينا. فمن أشهر أساتذة هذه المدرسة عبد يشوع بر[1] شهاري (المتوفى سنة 471م). فكان أستاذاً فاضلاً وشاعراً مجيداً وعالماً قديراً. وقد وضع قصائد جمع في أبياتها حواشي اللغة ورقة الانسجام وجزالة اللفظ. ونشر القرداحي في كتابه الكنز الثمين نتفاً منها[2].

ومن تلاميذ هذه المدرسة النابهين بالعلم والفضيلة الشاعر المعروف بابن الشعارة. وقد نظم قصيدة مطولة في مدح مار ميخائيل وتلاميذ مار أوجين (المتوفى سنة 363م) رقيقة الألفاظ دقيقة المعاني نشرت في ديوان الشاعر كوركيس وردا الاربلي[3] (منتصف المائة الثالثة عشرة للميلاد)[4].

ومنهم مار ايليا مطران نصيبين المعروف بيرشينا[5]. فاشتهر في عهد

---

(1) بر كلمة ارمية معناها الابن.

(2) تاريخ الموصل 2: 68.

(3) كان كوركيس وردا الآرمي من أئمة شعراء عصره وقد حبر ديوان شعر ضخم نظم في صفحاته قصائد عامرة واصفاً في أبياتها حصار مدينة أربل. وما عدا هذا الديوان نسج أناشيد في مدح مريم لقب لشهرتها بشاعر العذراء (تاريخ نصارى العراق ص94).

(4) مجلة النجم 7: 858. وتاريخ الموصل 2: 93. وذخيرة الأذهان 1: 432.

(5) برشينا: كلمتان ارميتان بمعنى ابن السلام.

الجاثليق يوحنا بن ترجل (المتوفى سنة 1057م). فكان من العلماء البارزين والأدباء المتقدمين هذا فضلاً عن أخلاقه الحميدة الجمة. جادل الأمير الحسين أبا القاسم سبع مرات في تثبيت النصرانية. وصنف تاريخ الأزمنة وهو من انفس الكتب التاريخية التي وضعت في زمانه ولا سيما لمطالعي تواريخ المشرق ومنه نسخة قديمة في خزانة الكتب السريانية في لندن. وسطر مقالات عديدة تتضمن أدعية خشوعية تتلى أيام الباعوثة[1]. وألف كتاباً في أصول النحو الآرمي وأربعة مصنفات في الأحكام البيعية والميراث. ووضع كتاب البرهان في تصحيح الإيمان وهو يشتمل على أربعة أجزاء وعشرة فصول. ومن اشهر مؤلفاته في العربية الرسائل التي حبرها في الفقه والتوحيد والتثليث[2].

ومنهم يوحنا الموصلي (المتوفى 1270م). قرأ على أساتذة الدير فخرج نادرة الزمان في الشعر لم يبلغ شأوه شاعر من معاصريه. فنظم قصائد بديعة زانها بالالفاظ الجزلة فجاءت متراصفة الفقر متلائمة الأطراف. وجمع منها في ديوان اسماه (الفضائل الحسنة) ضمنه الأشعار التقوية والابيات الاخلاقية مما يدل على ملكة قوية وقريحة سخية. وقد طبعه مار ايليا ملوس في رومة سنة (1868م)[3].

ومنهم الراهب اصطفن (اسطيفانوس). جاء عنه في الفهرست: «هذا الرجل كان بالموصل في عمر يقال له ميخاييل. وكان يحكى عنه أنه عمل الكيمياء. فلما مات ظهرت كتبه بالموصل فرأيت منها شيئاً وهو: كتاب

(1) الباعوثة كلمة ارمية النجار معناها الطلب والالتماس والتضرع (دليل الراغبين ص73). ويراد بأيام الباعوثة الأيام الثلاثة التي يصوم في غضونها نصارى المشرق ابتداء من يوم الاثنين الذي يسبق الصوم الكبير بثلاثة أسابيع.
(2) ذخيرة الأذهان 1: 463 ـ 464. ومجلة النجم 7: 333.
(3) تاريخ نصارى العراق ص115.

الرشد وكتاب ما حدثناه وكتاب الباب الأعظم. وكتاب الأدعية والقرابين التي تستعمل قبل صناعة الكيمياء وكتاب الأختيار النجومي للصناعة وكتاب التعليقات وكتاب الأوقات والازمنة»[1].

هؤلاء وغيرهم كثيرون لم تصل إلينا أسماؤهم درسوا في صفوف مدرسة دير مار ميخائيل وتمهروا في فنون الآداب وتبسطوا في كل العلوم. ولعل فيمن ذكرنا كفاية لمعرفة منزلة هذه المدرسة.

مدرسة دير مار متى

أقام أسس هذا الدير مار متى المعروف بالشيخ متى[2] في الربع الأخير من المائة الرابعة للميلاد. وهو يبعد نحو عشرين ميلاً عن شمال شرقي الموصل ويقوم على جبل شامخ كثير الشعاب والكهوف يعرف الآن بجبل مقلوب أو كوختا. وكثر فيه الرهبان حتى بلغوا الآلاف ولذلك سمي بجبل الفاف[3]. قال ياقوت في معجمه: «دير متى شرقي الموصل على جبل شامخ يقال له جبل متى من استشرفه نظر إلى رستاق نينوى والمرج. وهو حسن البناء وأكثر بيوته منقورة في الصخر وفيه نحو مائة راهب... وبينه وبين الموصل سبعة فراسخ»[4].

لقد انتابت هذا الدير المحن العديدة والمصائب الكثيرة. ثم تقلبت به

---

(1) الفهرست ص505 - 506.

(2) كان مار متى من تلاميذ مار أوجين فسكن في جوار امد (ديار بكر) ثم وافى جبل مقلوب حيث شاد ديره.

(3) ذخيرة الأذهان 1: 66. ومجلة النجم 1: 519. ومجلة لسان المشرق الصادرة في الموصل لصاحبها المطران بولس بهنام (1 «1948» العدد الأول ص18).

(4) معجم البلدان 2: 694.

الأحوال حتى جدد سنة (1845م). وقد تقدم بعلومه ورهبانه واساقفته وصار على تمادي الزمن كرسياً مطرانياً وما زال قائماً إلى اليوم.

ابتدأ التدريس في مدرسة دير مار متى منذ اوائل تأسيسه واخذت تسير سيراً مطرداً حتى أخذ التعليم العلمي ينتشر في صفوفها في العقد الثالث من القرن السابع وظل إلى أواخر القرن الثالث عشر للميلاد. وانجبت بطريركين وستة مفارنة[1] وثلاثين أسقفاً[2].

هذا ومن اشهر مدرسي مدرسته المفريان ماروثا التكريتي (المتوفى سنة 649م). فقد ولد في سورزق إحدى قرى إقليم بانهدرا وبعد أن تضلع من العلوم في مدارس الديرة توجه إلى دير مار متى وشرع يدرس فيه بجد لا يعرف الونى. ثم أقيم مفرياناً على تكريت ففتح قلعتها لجيش المسلمين فنجا أهل المدينة من كل اذى. وبنى البيع والأديار وساس شعبه باخلاص وحنكة ورتبت مصالح الابرشيات التابعة لكرسيه وزاد عددها. وصنف عدة خطب للأعياد وحبر مؤلفاً في تفسير الإنجيل هذا فضلاً عما كتب من الرسائل الدينية[3].

ومنهم المطران سويريوس يعقوب بن عيسى بن مرقس شككو البرطلي[4] (المتوفى سنة 1241م). فقرأ علم النحو ومبادئ المنطق

---

(1) المفارنة جمع المفريان: كلمة ارمية الأصل تعني المثمر اشارة إلى رئاسته التي تولد الاساقفة. ويطلق هذاالاسم على صاحب رتبة كنسية تعادل رئيس الاساقفة الأول. قال المطران توما اودو في معجمه اللغة الآرمية (1: 319): «المفريات في الاصطلاح الكنسي المطرا يوليط الكبير أي رئيس الأساقفة الأول».

(2) اللؤلؤ المنثور ص20 و514.

(3) ذخيرة الأذهان 1: 329 ـ 232. واللؤلؤ المنثور ص280 ـ 281.

(4) البرطلي نسبة إلى برطلي وهي قرية كبيرة من أعمال نينوى شرقي الموصل (معجم البلدان 1: 567). والكلمة آرمية مركبة من (برطلا) أي ابن الظل لكثرة اشجارها.

على النحوي الراهب يوحنا بن زغبي. ثم درس الفلسفة بالعربية على الفيلسوف كمال الدين بن يونس الموصلي. وأقيم مطراناً وعرف بذكائه وتضلعه من اللغة الآرمية والعلوم اللاهوتية كما نبه في الشعر وفنونه فعد من فحوله. وقد صنف كتباً ونظم قصائد جمعت بين جزالة اللفظ ورقة المعنى. واشهرها كتاب الرتب الكنسية بحث فيه عن أسرار البيعة بأسلوب واضح لا مثيل له. وكتاب الديالوغو ادرج في صفحاته أصول اللغة والبيان والقريض والموسيقى والرياضيات وهو يقع في مجلدين يضرب بهما المثل في براعة الإنشاء. وكتاب الموسيقى تكلم في سطوره عن الألحان البيعية وأساليبها وناظميها وزمن دخولها في المعابد. وكتاب الكنوز وهو من انفس كتبه في علم اللاهوت وقد قسمه إلى أربعة أجزاء فاطلق فيه عنان فكره الحاد فخاض عباب الفلسفة الدينية[1].

ومن ترهب في دير الشيخ متى وتهذب في مدرسته المفريان يوحنا الأول (المتوفى سنة 688م) وقد نال الأسقفية في شيخوخته فلقب بيوحنا الشيخ وعرف بالعلم والقداسة ونشر رسالة عامة عن الاساقفة الانطاكيين لإعلان السلام في البيعة. والمطران غريغوريوس يوحنا البرطلي وكان من أهل الأدب وقد قرأ على العلّامة المطران سويريوس يعقوب البرطلي المار ذكره وحبر ليتورجية[2] حسنة الإنشاء تنبئ عن توغله في العلوم الكنسية[3].

ومنهم الكاهن الغيور أبو نصر البرطلي (المتوفى سنة 1290م). فقد

(1) اللؤلؤ المنثور ص404 ـ 407. وذخيرة الأذهان 2: 73. ومجلة لسان المشرق 3: 324 ـ 230.

(2) الليتورجية أو النافورة (آنافورا): كلمتان يونانيتان معناهما خدمة أو صلاة القداس.

(3) اللؤلؤ المنثور ص291 و408. ومجلة لسان المشرق 2: 390 ـ 392 و3: 338.

ولد من أسرة نبيلة وبعدما ترهب ونال السهم الأعلى من العلوم وضع أربعاً وتسعين حساية[1] دلت على تضعله من الآداب الكنسية ونظم قصيدة سباعية الوزن غير مقفاة ضمنها سيرة مار متى الناسك. والمطران جبرائيل ابن القس يوحنا البرطلي (المتوفى سنة 1300م) وهو الذي تولى بناء دير الشهيدين مار يوحنا ابن النجارين وأخته سارة في برطلي. ونظم سيرتي العلّامة ابن العبري وأخيه في قصيدتين مطولتين أذاع فيهما محاسنهما ومناقبهما. وفي سنة (1291م) حبر ليتورجية مسهبة بليغة وتسع حسابات حسنة الاسلوب رقيقة المعاني. وبطريرك انطاكية اسحق (المتوفى سنة 1724م) وقد اعتزل الكرسي لشيخوخته وحبر سنة (1699م) كتيباً في الصرف السرياني والاشتقاق في خمسة عشر فصلاً[2].

ومنهم المطران طيمثاوس سوجدي (المتوفى سنة 1120م) والمطران بركوتلا (المتوفى سنة 1150م) والمطران صليبا (المتوفى سنة 1212م) والمفريان غريغوريوس متى الأول (المتوفى سنة 1345م) والمفريان باسيل الياس الثاني (المتوفى سنة 1837م)[3] وغيرهم درسوا العلوم على شيوخ الدير فاضحوا من الكتّاب المعدودين والأدباء الواقفين على أسرار البلاغة وضروب التعابير.

واشتهرت مدرسة دير مار متى بمن اشتغلوا بشكل الكتب السريانية وعنوا بالضوابط اللغوية فكانوا من الأدباء البارعين الذين يشار إليهم بالبنان أمثال جبرائيل وأخيه راميشوع (أواسط المائة السابعة للميلاد)

(1) حساية كلمة آرمية النجار يراد بها صلاة الاستغفار أو الدعاء.

(2) اللؤلؤ المنثور ص433 ـ 435 و462.

(3) راجع مجلة المشرق 22: 521 و610. ومجلة لسان المشرق 3: 221 ـ 224.

وابنه سبر يشوع. فكان الأخير أديباً ذكياً سار على غرار أبيه وانعكف على عدة مصاحف يضبط لغتها وينقحها ويصححها ويشكلها بالنقاط بدقة وحكمة. قال الربان داود بن بولس في رسالته إلى الأسقف يوحنا: «لما قدم إماما اللغة راميشوع وجبرائيل إلى دير متى ورأى رئيس الدير انهما أفصح من معاصريهما نطقاً وأبل ربقاً اعطاهما قلالي يقيمان فيها. وشرع كل منهما يتناول كتاباً (من نسخة واحدة) خالياً من نقاط الضبط وعلامات التصحيح فيدخل قلايته ويشكله بعلامات وعند المعارضة لم ير لاحدهما زيادة على صاحبه. وعلى هذه الطريقة شكلا كتباً عديدة. ومن حلقتهما نشأ معهما وبعدهما أناس هبت ريحهم كالأستاذ يشو عسبران واتنوس رئيس دير «كوختا» وساوبرا ابن زديقا «الصديق» وايليا الاردي والراهب أفريم وغيرهم كثيرين اقتفوا آثار آل ربان وعنوا بالضوابط اللغوية وتشكيل الكتب»[1].

ولا شك إن هناك فئة من العلماء نبغوا في هذا الدير، غير أن صغر هذا الكتاب يحول دون تعدادهم. وقد جدوا في العلوم اللاهوتية والفلسفية ووضعوا الكتب الادبية واللغوية ونشروا ألوية المعارف أينما حلوا وحيثما رحلوا.

مدرسة دير بيث عابي

في سنة (595م) شاد الراهب يعقوب اللاشومي[2] ديره في أرض

(1) اللؤلؤ المنثور ص287 و313 و342.

(2) كان الراهب يعقوب اللاشومي من تلاميذ مار إبراهيم الكبير وقد تهذب في مدرسة الرستاق في أرض المرج ونسب إلى مسقط رأسه لاشوم: مدينة تقع قرب داقوق غربي كركوك على مسافة تسع ساعات وهي اليوم قرية صغيرة.

المرج في جوار قرية بامازي في موضع يقال له بيث عابي فسمي باسمه دير بيث عابي (بيث الغاب). وآثاره لا تزال إلى اليوم باقية وراء جبل العقر على مسافة ساعات قليلة قرب قرية تدعى خربة.

لقد خطا دير بيث عابي في غضون مدة وجيزة خطوات واسعة في سبيل الفضائل وازدهر برهبانه الأبرار الذين نشروا المعارف في أطراف البلاد. وأقيم بين جدرانه مدرسة دينية عالية للرهبان فقط[1] اشتهرت بتلاميذها الأفاضل ورجالها النوابغ وعلمائها العظام. وتقدمت تقدماً لا مثيل له بتدريس الألحان والأناشيد الكنسية.

ومن مدرسي مدرسة دير بيث عابي الذين وافت إلينا أسماؤهم شليمون وباعوث اللذان كانا يعلمان الرهبان المبتدئين الإجادة في القراءة وحسن الالقاء والتلحين. والربان عنا نيشوع (القرن السابع الميلادي) الذي انتدبه الجاثليق يشوعياب الثالث المعروف بالحديابي (المتوفى سنة 660م)[2] ليقوم بتنظيم الصلوات الطقسية وترتيب الألحان البيعية وقد حبر عدة مصنفات مطرزة الفصول متعددة المواضيع منها: كتاب القوانين ورسالة في ألفاظ الكتاب المقدس الغامضة وكناشة[3] في الأسماء الصعبة التي في أسفار الآباء. وسفره الموسوم بفردوس الآباء الغربيين الذي وضعه إجابة إلى طلب الجاثليق جيورجيس الأول (المتوفى سنة 681م). وقد ادمج فيه سير الرهبان وماثرهم وأعمالهم وقسمه إلى أربعة أجزاء. فالجزء الثالث

---

(1) ذخيرة الأذهان 1: 363.

(2) درس الجاثليق الحديابي في نصيبين وأتم دروسه في مدرسة بلد وترهب في دير بيث عابي. وسوف نتكلم عنه حينما نبحث عن مدارس بلد.

(3) الكناشة أوراق تجعل كالدفتر تضبط فيها الفوائد والشوارد (التاج 4: 347) وهي كلمة آرمية الأصل من فعل كنش أي جمع وضم.

منها من تأليف هيرونيمس فهذبه وأضاف إليه بحوثاً كثيرة مما يدل على سعة إلمامه بالفلسفة اليونانية. وقد طبعه الأب بيجان في عاصمة فرنسا سنة (1897م). وأما الأجزاء الباقية فهي من وضع بلاديوس أسقف هلنوبوليس[1].

ومن اشهر من تعلم في دير بيث عابي الراهب قاميشوع (المائة السابعة للميلاد). فكان من المرج من قرية قوب وقرأ على مار يعقوب مؤسس الدير وخلف معلمه في الرئاسة. ثم استقال وانقطع إلى العبادة في جبل حفنون على مسافة عشرة أميال من بيث عابي واجتمع لديه رهبان كثيرون[2].

ومنهم يوحنا الجرمقي (القرن السابع للميلاد). فترأس الدير وقام بشؤونه أحسن قيام. وقد كتب فصولاً علمية تهذيبية للطلبة الرهبان. ومن أنفس كتبه تاريخ كنسي في أربعة مجلدات[3].

ومنهم الانبا[4] يوسف (أواسط القرن السابع الميلادي). فكان من شهزور[5] وقد تولى رئاسة الدير زمناً ثم قصد شاطئ دجلة وبنى في حدود مدينة بلد ديراً انضوى إليه زهاد عديدون[6].

---

(1) مجلة النجم 8: 128 و165. وذخيرة الأذهان 1: 261 و267. وتاريخ كلدو وآثور 2: 286. وخلاصة تاريخية ص159.

(2) ذخيرة الأذهان 1: 258. والديورة عدد 90 و94.

(3) الديورة عدد 111. وذخيرة الأذهان 1: 277.

(4) الانبا كلمة يونانية بمعنى الأب وتطلق خاصة على رئيس الدير ويطلقها الاقباط على البطاركة والاساقفة (اللؤلؤ المنثور ص497).

(5) شهر زور: بلدة بين بلاشبار وباجرمي. وكانت بلاشبار في وادي نهر ديالي بينها وبين كركوك أربع مراحل.

(6) ذخيرة الأذهان 1: 273.

ومنهم الراهب اپنيماران (أواخر القرن السابع للميلاد). فكان من كرخ سلوخ وشاد ديراً في بيث نوهدرا وله عدة رسائل وخطب اشهرها سفره رؤوس المعرفة[1].

وممن تهذب في مدرسة بيث عابي الجاثليق جيورجيس الأول (المتوفى سنة 681م). فولد في كافرا بناحية باقافاد من بلاد باجرمي. وقد سهر على مصالح شعبه على الرغم من الاضطهادات والانقلابات الدولية التي حدثت في أيامه. فكان حليماً متواضعاً يحب العلم فشاد مدارس في كل مكان وحث وجوه طائفته على الدرس واقتباس المعارف. ونظم اناشيد وحبر مقالات شتى في مواضيع دينية عديدة[2].

ومنهم اسحاق أسقف نينوى. فقد ولد (في أوائل المائة السابعة للميلاد) في بيث قطرابي وبعد تضلعه من العلوم اللاهوتية أقامه الجاثليق جيورجيس الأول (المتوفى سنة 681م) أسقفاً على نينوى في دير بيث عابي بيد أنه زهد في حطام الدنيا وانقطع إلى سفح جبل في جوار الأهواز. وهناك واظب على درس الكتب المقدسة والتقشف حتى فقد بصره. أما مؤلفاته فكثيرة وأحسنها سبعة مجلدات ضخمة في تدبير الروح والأسرار الإلهية أجاد فيها كما أوحته قريحته الوقادة. وقد طبع الأب بولس بيجان المجلد الأول منها سنة (1909م)[3].

---

(1) تاريخ كلدو وآثور 2: 294.

(2) مجلة النجم 2: 443 ـ 445 وذخيرة الأذهان 1: 266.

Bibliotheca Orientalis. (Vol II, p 421 Vol. III, Part. 1, p.149).

(3) مجلة المشرق سنة 1909 ص215 ـ 230. وذخيرة الأذهان 1: 279 ـ 280. وخلاصة تاريخية ص161. والديورة عدد 125.

Bibliotheca Orientalis (Vol. III, Part. 1, P.70).

ومن مؤلفاته المحفوظة مجموعة ميامر[1] في السيرة النسكية وكتاب الطب الروحي وعدة رسائل[2].

ومن تلاميذ دير بيث عابي الجاثليق جيورجيس الثاني (المتوفى سنة 834م). فولد في قرية حانس من أعمال باجرمي وكان من الجثالقة المعروفين بالتقوى وقد أرضى الجميع بتدبير رعيته وعمر كثيراً[3].

ومنهم الجاثليق إبراهيم الثاني (المتوفى سنة 853م) فكان من المرج من أعمال الموصل وقد عرف بتواضعه وعفته[4].

وممن نبه في دير بيث عابي توما المرجي (المتوفى سنة 850م). فولد في حربا إحدى قرى مرج الموصل في أوائل القرن التاسع للميلاد. وبعدما تمهر في كل فن من فنون الأدب اتخذه الجاثليق إبراهيم الثاني كاتماً لاسراره. ثم سقف على المرج سنة (837م) فكان من أشد الناس تعلقاً بدينه وأسرعهم تفانياً لخير الإنسانية وأقواهم سعياً لإعلاء منار العلم. فكتب وألف وشاد مدارس. وفي عام (840م) وضع تاريخه (كتاب الرؤساء) وقد تحدى به الكاتب اليوناني بلاديوس وكتاب فردوس الآباء للراهب عنا نيشوع. وهو سفر جليل أطرى عليه كل الإطراء المؤرخون الشرقيون ونشره المستشرق الإنكليزي بج سنة (1893) وعلق عليه التعليقات المفيدة[5]. ونشره الأب بيجان سنة (1901) في ليبسك.

---

(1) الميامر مفردها ميمرا: كلمة آرمية معناها مقالة أو قصيدة (دليل الراغبين ص26).

(2) كتاب المخطوطات العربية ص30.

(3) ذخيرة الأذهان 1: 389. وأخبار فطاركة كرسي المشرق ص76. والمجدل ص68. ومجلة النجم 1: 443.

(4) التاريخ الكنسي ص189 ـ 191. وذخيرة الأذهان 1: 392، وأخبار فطاركة كرسي المشرق ص77.

(5) Budge (E. A. W): The Historia Monastica of Thomas Bishop of Marga (London, 1893).

ويتضمن تاريخ الحياة النسكية في نواحي دجلة في مطاوي القرون الثلاثة الأولى وسير النهضة العلمية في أيامه وما قام بين الملوك من الاختلافات أو الاتفاقات. ثم تتلو ذلك دواعى انحطاط الكنيسة الشرقية وأسباب تدهور الدولة الفارسية وعوامل عظمة الدولة العربية. . . فقد حوى هذا السفر تاريخ ما بين النهرين في ثلاثة قرون حافلة بالأعمال الخطيرة باسلوب منقطع النظير كثير الفائدة صحيح المادة مما جعله منهلا يستقي منه هواة التاريخ الشرقي[1].

هؤلاء وغيرهم كثيرون نبغوا في هذه المدرسة وبقي ديرها مورداً للعلم ومنبعاً للفضل حتى غارات تيمورلنك وابنه جلال الدين ميرنشاه على الأقطار العراقية نحو سنة (1401م). تلك الغارات التي قضت عليه وعلى غيره من الديرة الزاهية بعلومها وقوانينها وانظمتها[2].

مدرسة دير كليليشوع

وفي عهد الساسانيين رفع النصارى دعائم دير كليليشوع في الجانب الغربي من بغداد الحالية، ثم شادوا حوله الدور والقصور حتى صارت على تمادي الأعوام محلة سميت باسم الدير المذكور. وقد ادخل الخليفة المنصور مباني هذه المحلة في بناء مدينة السلام[3]. أما موقعه اليوم فيقرب من مقبرة الشيخ معروف الكرخي.

إن كلمة كليليشوع أرمية مركبة من كليلا ديشوع أي اكليل يسوع. وقد عرف بدير الجاثليق أو الدير الجديد لان الجاثليق طيمثاوس الأول

---

(1) تاريخ الموصل 2: 45. وذخيرة الأذهان 1: 399 وتاريخ نصارى العراق ص91.
La Littérature Syriaque. P. 216.

(2) مجلة النجم 1: 517 ـ 518. وتاريخ الموصل 2: 22.

(3) مجلة سومر الجزء الأول من المجلد التاسع ص135.

(المتوفى سنة 823م) جدد ما تهدم منه[1]. قال صاحب معجم البلدان: «دير الجاثليق[2] عند باب الحديد قرب دير الثعالب في وسط العمارة بغربي بغداد»[3]. وقال الشابشتي: «وهذا الدير (دير الجاثليق) يقرب من باب الحديد وهو دير كبير حسن نزه تحدق به البساتين والأشجار والرياحين. وهو يوازي دير الثعالب في النزهة والطيب وعمارة الوضع لأنهما في بقعة واحدة. وهو مقصود مطروق لا يخلو من المتنزهين فيه والقاصدين له. وفيه رهبانه ومن يالفه من أهل الخلاعة والبطالة»[4].

وكان باب الحديد «اعمر موضع ببغداد وانزهه لما فيه من البساتين والشجر والنخل والرياحين ولتوسطه البلد وقربه من كل أحد. فليس يخلو من أهل البطالات ولا يخلّ به أهل التطرب واللذاذات. فمواطنه أبداً معمورة وبقاعه بالمتنزهين مشحونة». وأما دير الثعالب فكان في باب الحديد يقصده النصارى والمسلمون وتكثر فيه المزارع والبساتين ولا يكاد يخلو من قاصد وطارق[5].

كان دير كليليشوع رحب الارجاء واسع الساحات وقد عرف أيضاً بالدير الكبير[6] ودفن في بيعته جثالقة عديدون منهم طيمثاوس الأول

---

(1) أخبار فطاركة كرسي المشرق ص73.

(2) شاد النصارى ديراً آخر باسم الجاثليق وهو دير قديم البناء من طسوج مسكن في غربي دجلة بين آخر السواد وأول أرض تكريت وعنده كانت الحرب بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير (معجم ما استعجم للبكري «غوتنجن 1877» ص367).

(3) معجم البلدان 2: 651.

(4) الديارات ص18.

(5) معجم البلدان 2: 650. والديارات ص16. ومسالك الابصار ص277.

(6) ذخيرة الأذهان 1: 391.

(المتوفى سنة 823م) ويشوع بن نون (المتوفى سنة 828م) وجيورجيس الثاني (المتوفى سنة 834م) وسبريشوع الثاني (المتوفى سنة 839) وثاودوسيوس (المتوفى سنة859م) وسرجيس (المتوفى سنة 872م)[1]. واتخذه الجاثليق يشوع بن نون (المتوفى سنة 828م) والجاثليق يوحنا بن نرسي (المتوفى سنة 893م) كرسياً بطريركياً قال ماري بن سليمان «ولما حصل (الجاثليق يشوع بن نون) في كرسيه باكليليشوع كشف ما في نفسه على طيماثاوس واسقط اسمه من سفر الأحياء فبان بغضه». وقال عن الجاثليق يوحنا بن نرسي[2]. «وعاد وبنى الدير (دير كليليشوع) ولم يطب نفساً بالمقام فيه وسكن في دار الروم في بيعة اصبغ العبادي»[3].

وكان لدير كليليشوع مدرسة تقدمت تقدماً مطرداً وسارت في سبيل النجاح ولا سيما في أيام الجاثليق سبريشوع الثاني إذا اذاع في سنة (835م) بيانين حرض بهما ابناء طائفته وعلى الأخص الرهبان على الجد في الدرس ومطالعة الكتب والمحافظة على العلوم الكنسية. وكان يتعلم في هذه المدرسة الرهبان ومن كان ينهي دروسه في مكاتب الكنائس ليتقلدوا منصباً دينياً أو ليتمهروا في القضايا اللاهوتية لأن لتلاميذها حقاً ونفوذاً في انتخاب الجثالقة والقيام بالاحتفالات العائدة

---

(1) أخبار فطاركة كرسي المشرق ص74 و76 و 77 و80. وذخيرة الأذهان 1: 345. و389 و394 و396. والمجدل ص66 و68 و69 و70 و72 و73.

(2) أخبار فطاركة كرسي المشرق ص75 ـ 76 و83.

(3) نسبت بيعة أصبغ إلى الجاثليق مار شمعون بر صباعي أي ابن الصباغين الذي استشهد سنة (341م). أما كلمة العبادي فمنسوبة إلى العباد أو العباديين وهم النصارى. قال ابن خلكان: «وهم (أي العباد) عدة بطون من قبائل شتى نزلوا الحيرة وكانوا نصارى». (وفيات الاعيان في أنباء الزمان «مصر 1310هـ» 1: 66). ثم اقتصرت على نصارى الحيرة دول غيرهم من نصارى العرب.

إليهم[1]. ولسوء الطالع لم تصل إلينا أسماء من نبغوا في صفوف هذا المعهد الكهنوتي.

وانتابت الدير الجديد أو دير كليليشوع نكبات عديدة ومصائب كثيرة. فقد هدمه العامة في أيام الجاثليق يوحنا بن نرسي (المتوفى سنة 892م) ونهبوا كل ما فيه ونقل كرسيه إلى دير واسط[2]. وبعد خمس سنوات رجع إلى بغداد الشرقية وسكن في دار الروم. قال ماري بن سليمان: «وهدم دير الجاثليق دفعتين في أيامه (أيام الجاثليق يوحنا بن نرسي) واتصلت الفتن وبني دفعتين وهدم[3]. وقال عمرو بن متى: «وفي أيامه (أيام الجاثليق يوحنا بن نرسي) هدم دير الجاثليق بعد نهبه دفعة ثم أخرى وأخرى ومضى إلى واسط وأقام خمس سنين وعاد وأقام بدار الروم[4]».

وقال الطبري في حوادث سنة (271هـ ـ 884م): «وفيها خربت العامة دير كليلا يشوع الذي وراء نهر عيسى وانتهبوا كل ما كان له من متاع وقلعوا الأبواب وغير ذلك وهدموا بعض حيطانه وسقوفه. فصار إليهم الحسين بن إسماعيل صاحب شرطة بغداد من قبل محمد بن ظاهر يمنعهم من هدم ما بقي فيه. وكان يتردد إليه أياماً هو

---

(1) ذخيرة الأذهان 1: 391. والتاريخ الكنسي 2: 189.
Bibliotheca Orientalis. (Vol. II, P. 425. Vol. III, Part, P. 505).

(2) كان هذا الدير واقعاً في أسفل واسط في الجانب الشرقي منها في القرية المعروفة بيرجوني أو برجونية. وقد أقيم فيه كرسي المطران. وهو دير كبير عظيم حسن البناء محكم الصنعة حوله القلالي الكثيرة ويحيط بالموضع بساتين كثيرة الشجر. (راجع: الديارات ص176 ـ 177. ومعجم البلدان 2: 725. ومسالك الابصار ص310 ـ 311).

(3) أخبار فطاركة كرسي المشرق ص83.

(4) المجدل ص75.

والعامة حتى كاد يكون بين أصحاب السلطان وبينهم قتال. ثم بنى ما كانت العامة هدمته بعد أيام وكانت إعادة بنائه فيما ذكر بقوة عبدون بن مخلد أخي صاعد بن مخلد». وذكر في حوادث سنة (272هـ ـ 885م): «وفيها تجمعت العامة فهدموا ما كان بني من البيعة يوم الخميس لثمان خلون من شهر ربيع الآخر»[1].

إن دير كليليشوع كان عامراً في عهد الجاثليق سبريشوع الرابع ابن المسيحي (المتوفى سنة 1256م) إذ قرأ يوم وفاته القربان الأول[2] قس دير كليليشوع[3]. وذكر المؤرخ صليوا (القرن الرابع عشر للميلاد) في ترجمة الجاثليق المذكور: إن في بغداد بيعة سوق الثلاثاء وبيعة درب القراطيس[4] وبيعة دير كليليشوع[5]. وبقي هذا الدير قائماً إلى أيام صفي الدين بن عبد الحق (المتوفى سنة 739هـ ـ 1339م). وقد ذكره في كتابه مراصد الاطلاع عندما تكلم عن دير الثعالب ودعاه دير كليلسع وأشار إلى ما رواه صاحب معجم البلدان قائلاً: «غلط فيه (أي في دير الثعالب) الخالدي فقال هو الدير الذي بقرب قبر معروف الكرخي عند باب الحديد والدير الذي ذكره يعرف بدير مار كليلسع ومنهم من يسميه دير البقال ملاصق مقبرة معروف ولهذا تسمى المقبرة

---

(1) تاريخ الأمم والملوك الطبري (الطبعة الغربية) 2: 2107 ـ 2108. و«الطبعة المصرية» 11: 320.

(2) القربان: كلمة آرمية الأصل بمعنى الفصل الذي يقرأ من كتاب القراءات البيعية. وجاء الأول لأن في أثناء الصلاة يتلى على الغالب قربانان.

(3) المجدل ص119.

(4) كانت سوق الثلاثاء تمتد من جامع الحيدرخانه إلى جامع مرجات الحالي. وأما درب القراطيس فكان في بغداد الغربية قرب قطيعه النصارى الواقعة إذ ذاك فوق الشالجية الحالية ممتدة إلى الغرب.

(5) ذخيرة الأذهان 2: 203.

مقبرة باب الدير»[1]. أما بعد هذا التاريخ فلا نعرف عن هذا الدير شيئاً. فقد زالت إثاره عن الانظار في أواخر القرن الرابع عشر للميلاد.

مدرسة دير مار فثيون

وغب منتصف القرن الخامس للميلاد بنى النصارى دير مار فثيون[2] على الصراة[3] في أطراف قرية سونايا[4] التي ادمجت في بناء بغداد مدينة السلام واصبحت على مرور الزمن محلة عرفت بالعتيقة[5] وهي اليوم المنطقة الحالية. قال عمرو بن متى: «واحب الجاثليق سبريشوع الثاني (المتوفى سنة 839م) تجديد بناء دير مار فثيون في العتيقة. وكان بنؤه في أيام الفرس قبل بناء بغداد مجاوراً لعمر صليبا»[6]. وقال ماري بن سليمان عن الجاثليق انوش (المتوفى

---

(1) مراصد الاطلاع 1: 426.

(2) كان مار فثيون من اشراف بلاشبار وقد دان بالنصرانية على عمه يزدين. واخذ يبشر بانجيل فقبض عليه وقتل اشنع قتلة. وكان استشهاده في (25 تشرين الأول سنة 446م)، وبنيت عدة كنائس باسمه (راجع تاريخ كلدو وآثور 2: 126 ـ 128. وذخيرة الأذهان 1: 120 ـ 132).

(3) الصراة بفتح وهو نهر يأخذ من نهر عيسى من عند بلدة يقال لها المحول بينها وبين بغداد فرسخ. ويسقي ضياع بادوريا وتتفرع منه أنهار إلى أن يصل إلى بغداد فيمر بقنطرة العباس ثم قنطرة: الصبيبات ثم قنطرة رحا البطريق ثم قنطرة العتيقة ثم القنطرة الجديدة، ويصب في دجلة ولم يبق عليه الآن إلا القنطرة العتيقة والجديدة (معجم البلدان 3: 377 ـ 378).

(4) سونايا كلمة آرمية النجار بمعنى الممقوت والمشوه.

(5) قال الحموي (معجم البلدان 3: 197): «سونايا بضم أوله وبعد الواو ساكنة نون وبعد الألف ياء مثناة من تحت وألف مقصورة. كانت قرية قديمة ببغداد ينسب إليها العنب الأسود الذي يتقدم ويبكر على سائر العنب مجناه. ولما عمرت بغداد دخلت هذه القرية في العمارة وصارت محلة تعرف بالعتيقة لذلك».

(6) المجدل ص69.

سنة 883م) أنه: «دفن في دير مار فثيون في بيت الشهداء في العتيقة»[1].

لقد صحب دير مار فثيون الزمن دهراً طويلاً وتقلب على الظروف أمداً مديداً حتى عد من أكبر أديرة بغداد الغربية. ودعاه مؤرخو العرب «الدير العتيق» تمييزاً بينه وبين الدير الجديد المار ذكره. قال ابن رستة: «ولم يكن ببغداد إلا دير على موضع الصراة إلى دجلة الذي يقال له قرن الصراة. وهو الدير الذي يسمى الدير العتيق قائم بحاله إلى هذا الوقت نزله الجاثليق برئيس النصارى النسطورية»[2]. وقبل بناء بغداد مدينة السلام كان بعض الناس قد استولوا على الأراضي الواقعة في أطرافه فشادوا أبنية وسكنوا فيها. غير أنهم قد نقلوا منها كرهاً بأمر من الخليفة المنصور. قال عمرو بن متى: «وبنى جماعة فيه (في دير مار فثيون) بنياناً وأقاموا. فلما بنى المنصور مدينة بالقرب منه ونزلها الناس طالب النصارى لمن كان من المسلمين نازلاً في الدير بالانتقال منه فامتنعوا وقالوا هذا ارثنا من آبائنا فنقلوا عنه كرهاً بأمر المنصور»[3].

وتؤيد الأخبار ان الخليفة المنصور قد حل ضيفاً في دير مار فثيون يوم خرج يطلب موضعاً يبني فيه بغداد عاصمته الجديدة. ولا شك ان رهبانه قد اكرموه كل الاكرام واحتفوا به كل الاحتفاء. قال الطبري: «وجاء المنصور (الخليفة المنصور) فنزل الدير الذي في موضع الخلد

(1) أخبار فطاركة كرسي المشرق ص81.
(2) الاعلاق النفيسة ص235.
(3) المجدل ص69 ـ 70.

على الصراة فوجده قليل البق. فقال هذا الموضع أرضاه تأتيه الميرة من الفرات ودجلة ويصلح ان تبتنى فيه مدينة»[1].

وروى ابن الأثير: «وسار (أي الخليفة المنصور) حتى نزل الدير الذي حذاء قصره المعروف بالخلد»[2]. وجاء في معجم البلدان ما يأتي: «وعن علي بن يقطين قال: كنت في عسكر أبي جعفر المنصور حين سار إلى الصراة يلتمس موضعاً لبناء مدينة. قال: فنزل الدير الذي على الصراة في العتيقة»[3].

كان دير فثيون واسع الاطراف كبير الساحات وقد التأم فيه مراراً عديدة الاساقفة والآباء والرهبان لامور خطيرة. فاجتمع فيه الاساقفة لانتخاب الجاثليق حنا نيشوع الثاني (المتوفى سنة 778م) وهذه أول مرة جرى انتخاب الجاثليق في بغداد بعد بنائها[4]. قال ماري بن سليمان: «وكاتب يوماً أسقف كشكر (كسكر) الآباء بالحضور وحضروا. فاختار مروي الاركيذياقن[5] وأهل الحيرة حنا نيشوع والجرامقة وخالفهم يعقوب بن يزدين الكشكري وأختار جيورجيس الراهب من عمر باحالا[6] وكان فهيماً بالسريانية (الكلدانية) والعربية والفارسية وصاروا إلى بغداد واجتمعوا في دير مار فثيون»[7].

---

(1) تاريخ الأمم والملوك (الطبعة المصرية) 9: 241. و«الطبعة الغربية» 3: 277.

(2) تاريخ الكامل لأبي الحسن علي بن الأثير (مصر 1290هـ) 5: 207.

(3) معجم البلدان 1: 681.

(4) ذخيرة الأذهان 1: 340.

(5) الاركيذياقن كلمة دخيلة بمعنى رئيس الشمامسة «دليل الراغبين» ص40.

(6) كان عمر باحالا أو بيث حالا في جوار الموصل وقد أسسه مار خوداوي (راجع الديورة في مملكتي الفرس والعرب عدد 79).

(7) أخبار فطاركة كرسي المشرق ص70.

وفي سنة (780م) اجتمع في دير مار فثيون عدة أساقفة وآباء واختاروا الجاثليق طيمثاوس الأول (المتوفى سنة 823م). قال ماري بن سليمان: «فلما مات حنا نيشوع وردت كتب توما أسقف كشكر بالحضور في سنة اثنتين وستين ومائة واجتمع الآباء في دير مار فثيون». وبعد انتخاب طيمثاوس الأول جاثليقاً جرت بينه وبين يوسف مطران مرو وافرام مطران جنديسابور منازعات ومشاجرات. فنزل افرام المذكور وثلاثة عشر أسقفاً معه دير مار فثيون وحرموا الجاثليق المذكور. أما الجاثليق طيمثاوس فاجتمع في الدير نفسه هو وخمسة عشر أسقفاً وحرموا افرام واساقفته[1].

واتخذ الجاثليق سبريشوع الثاني (المتوفى سنة 839م) دير مار فثيون كرسياً بطريركياً في بغداد[2]. وكان لرهبانه منزلة عالية إذ يحظون بالمثول بين يدي الجاثليق الجديد بعد رجوعه من دير قنى ودير مار جبرائيل[3] أو الدير الأعلى. جاء في كتاب ذخيرة الأذهان: «وبعد نهاية السياميذ[4] يذهب بالفطريرك إلى دير قنى المنسوب إلى مار ماري السليح. ثم إلى دير مار جبرايل المبني على شاطئ الدجلة قبالة الموصل ثم يرجع به بالقوارب والسفن فيقصده في اليوم الأول الماحوزيون بمزيد التوقير وتصف المادب. وفي الثاني الحيريون وفي الثالث رهبان دير مار فثيون الواقع على شاطئ الدجلة بقرب بغداد»[5].

---

(1) أخبار فطاركة كرسي المشرق ص71 ـ 72.

(2) المجدل 69 ـ 70.

(3) أقام دعائم هذا الدير الراهب جبرائيل (المتوفى نحو سنة 739م) وعرف في المصادر العربية بالدير الأعلى. وكان واقعاً في أعلى الموصل في البقعة المعروفة اليوم بالطابية العليا (باش طابية). وقد اوشكت ان تزول آثاره. (راجع ما كتبنا عن شؤون هذا الدير ولا سيما عن مدرسته: مجلة النور في عددها السادس من السنة الخامسة «1954» ص19 ـ 27).

(4) السياميذ كلمة آرمية مركبة معناها وضع اليد يقصد بها التنصيب.

(5) ذخيرة الأذهان 1: 157.

وكان لدير مار فثيون مدرسة عدت من المعاهد العلمية الراقية وقد خرج منها أطباء ومدرسون عديدون غير ان ظروف الأحوال وتقلبات الزمن حالت دون بلوغ أسمائها إلينا. ولامرية أنها كانت تتقدم تارة وتتأخر أخرى مراعاة للانقلابات السياسية وصروف الحدثان حتى جدد بناءها الجاثليق سبريشوع الثاني (المتوفى سنة 839م). فقد رمم ابنيتها ووسع دائرتها ووقف لها الارزاق وأقام لها مديرين وأساتذة أفاضل لإدارة شؤونها. قال ماري بن سليمان: «ولما بنى المنصور مدينته (في الكرخ) ونزلها الناس هدم سبر يشوع تلك الابنية (أبنية دير مار فثيون) لاجل من تغلب عليها ولم ينقض الهيكل والمذبح. وجدد بناء بيت الاشهاد والأورقة ونصب اسكولا وجمع المتعلمين. وكان علي وعيسى ابنا داوود يقومان بأمرهم. وأقام الجاثليق فيه ورسم ان يدفع من دخله إلى رهبان عمر صرصر وهو المعروف بعمر صليبا. وهم النقلة من هذا الدير أربعة دنانير في كل شهر»[1]. وزاد عمرو بن متى على ما أورده ماري بن سليمان قائلاً: «والباقي (أي الباقي من دخله) له وللكهنة المقيمين فيه وأنفق على عمارة الضياع التي كانت قد خربت وعمرها مالا كثيراً. وكان يضيق على نفسه ويوفر النفقة على الاسكول وعمارة البيع وافتقاد الضعفاء»[2].

لقد جدد الجاثليق سبريشوع مدرسة مار فثيون وأذاع منشورين سنة (220هـ ـ 835م) حث بهما أبناء طائفته ولا سيما الرهبان على الجد والاجتهاد في الدرس ومطالعة كتب الآباء وأناط كما رأينا مهنة التدريس فيها إلى رهبان دير صليبا. وكان لتلاميذ هذه المدرسة حق

(1) اخبار فطاركة كرسي المشرق ص76 ـ 77.
(2) المجدل ص69 ـ 70.

ونفوذ في انتخاب البطريرك[1]. وفي سنة (343هـ ـ 953م) أنفق الطبيب أبو الحسن بن غسان المبالغ الكافية على انجاز بناء دير مار فثيون[2]. وهو من أهل البصرة وكان يعلم الطب ويشارك في علم الأوائل وخدم بصناعته ملوك بني بويه ولا سيما عضد الدولة فناخسرو[3]. وقد كناه ماري بن سليمان بأبي علي بن غسان: «قال البطريرك عمانوئيل (المتوفى سنة 960م) فبنيت بيعة دار الروم على اختيار أهلها ودير مار فثيون على اختياري. والمتنجز للتوقيع بتجديد عمارتها المسيحي رحمه الله. ومادة النفقة من أبي علي بن غسان كاتب ركن الدولة. واستكمل البناء في سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة»[4].

كان لمدرسة مار فثيون ذكر جليل في التاريخ. وقد درس في صفوفها علم الطب كما زرع في رياضها النباتات الطبية إذ ذكر المؤرخون أسماء أطباء قد درسوا فنون المعالجة على نصارى الكرخ منهم المختار أبو الحسن الطبيب البغدادي المعروف بابن بطلان (المتوفى سنة 444هـ ـ 1052م). قال القفطي: «المختار بن الحسن بن عبدون الحكيم أبو الحسن الطبيب البغدادي المعروف بابن بطلان طبيب منطقي نصراني من أهل بغداد قرأ على علماء زمانه من نصارى الكرخ»[5].

وعرف أن الطبيب البغدادي يحيى بن عيسى بن جزلة (المتوفى سنة 473هـ ـ 1080م) قد درس الطب لدى نصارى الكرخ الذين كانوا في أيامه. قال ابن العبري: «يحيى بن عيسى بن جزلة الطبيب البغدادي

---

(1) ذخيرة الأذهان 1: 391.

(2) شعراء النصرانية بعد الإسلام للأب لويس شيخو «بيروت 1927» 2: 253 ـ 254.

(3) أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص263.

(4) أخبار فطاركة كرسي المشرق ص96.

(5) أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص192.

وكان رجلاً نصرانياً قد قرأ الطب على نصارى الكرخ الذين كانوا في زمانه[1].

هذا ويبدو لنا أن دير مار فثيون ومدرسته قد انطوى أثرهما بعد الحصار المغولي لأنهما كانا قائمين حتى سنة (533هـ - 1138م) إذ ذكر ماري بن سليمان عن مار عبد يشوع الجاثليق المعروف بابن المقلي (المتوفى سنة 1147م) ما يأتي: «وفي يوم الجمعة خامس الشهر المذكور (شهر ربيع الأول من سنة 523هـ) حضر الجاثليق (مار عبد يشوع) والجماعة في بيعة مار فثيون على الصراة بالجانب الغربي وهي البيعة المعروفة بالعتيقة»[2].

(1) تاريخ مختصر الدول ص329.

(2) أخبار فطاركة كرسي المشرق ص157.

الفصل الثامن

مدارس المدن النصرانية

مدارس المدن النصرانية

رأينا في الفصول السابقة ازدهار مدارس الديارات العراقية ووقفنا على اشهر من خرج منها من المدرسين والفلاسفة واللاهوتيين. أما مدارس المدن فقد ازدادت وكثرت وتعددت. وكان القرن الرابع الميلادي من امجد القرون لانتشار العلوم وتقدم المعاهد العلمية. إذ تعلم في صفوفها تلاميذ أفاضل ودرس فيها أساتذة نوابغ اذاعوا المعارف في كل مكان ونشروا الآداب في كل صقع من أصقاع العالم[1].

جد أساقفة العراق ومطارينه وجثالقته في بناء المدارس كما جد أبناء شعبهم في توطيد دعائمها. وكان في تلك الأثناء الكثيرون قد سافروا إلى أقطار الروم واليونان طلباً للعلوم فإذا رجعوا إلى بلادهم ادخلوها في مدارسها وادمجوها في مناهجها. وأما اللغة اليونانية فاخذوا يدرسونها في صفوفها منذ القرن الخامس للميلاد[2].

لقد انتشرت مدارس النصارى في مدن العراق ونبغ فيها تلاميذ عديدون. وقد ذكرها المؤرخون والأخباريون استطراداً. وها نحن اولاء نبحث في هذا الفصل عن أشهرها صيتاً وأغزرها علماً كما

---

(1) تاريخ كلدو وآثور 2: 24 و269. وتاريخ الأدب السرياني ص85.
Le Christianisme dans L'Empire Perse (P.288).

(2) تاريخ الأدب السرياني ص162.

نبحث عن مدرسيها الفطاحل وطلابها الذين نبهوا فيها مراعين في كل ذلك اتساع صدر هذا المؤلف.

مدارس نصارى المدائن

تقع المدائن على سبعة فراسخ اسفل من بغداد على جانبي دجلة. وقد اطلق العرب هذا الاسم على إطلال العاصمتين التوأمتين طيسفون وسلوقية. واما المصنفون المسلمون فقد ذكروا انها تتألف من سبع مدن يختلفون في قراءتها. وكانت خمس من هذه المدن عامرة في المائة الثالثة للهجرة أيام كتب اليعقوبي تاريخه وهي: المدينة العتيقة أي طيسفون. وعلى ميل من جنوبها اسبانير وبجوارها رومية وهذه المدن في الجانب الشرقي. وفي الجانب الآخر من دجلة كانت بهرسير وهي تصحيف (به اردشير) أي بلدة الملك أردشير الطيبة. وعلى فرسخ من اسفلها ساباط وكان الفرس على ما ذكر ياقوت يسمونها بلاس اباذ[1].

قال ياقوت في معجمه عن المدائن: «إن هذا الموضع كان مسكن الملوك من الاكاسرة الساسانية وغيرهم. فكان كل واحد منهم إذا ملك بنى لنفسه مدينة إلى جنب التي قبلها وسماها باسمه. فأولها المدينة العتيقة التي لزاب. ثم مدينة الاسكندر ثم طيسفون من مدائنها ثم اسفانير ثم مدينة يقال لها رومية فسميت المدائن بذلك والله أعلم... وإنما سمتها العرب المدائن لأنها سبع مدائن بين كل مدينة إلى الأخرى مسافة قريبة أو بعيدة»[2]. وجاء في كتاب مناقب بغداد:

---

(1) طالع بلدان الخلافة الشرقية ص51 ـ 52.

(2) معجم البلدان 4: 445 ـ 446.

«إنما سميت المدائن لكثرة ما بنى بها الملوك والاكاسرة وأثروا فيها من الآثار»[1].

هذا وسمى كتبة الآرمية المدائن «المدن الرئيسية»[2]. وورد في كتبهم إن اسم سلوقية وطيسفون والمدائن وماحوزا وكوخي بمعنى واحد[3]. جاء في كتاب المكتبة الشرقية ما خلاصته: «كان في جوار بابل مدينتان كبيرتان ينساب بينهما نهر دجلة. فكانت الأولى في الجهة الشرقية منه تدعى كوخي وتقع الثانية في العدوة الغربية منه تسمى ماحوزا. فبنى سلوقس أحد قواد الاسكندر الكبير على آثار كوخي سلوقية التي دعاها باسمه. ثم شاد بعد ذلك أحد ملوك البرثيين طيسفون في موقع ماحوزا التي كانت تسمى أيضاً الكرخ[4]. فطيسفون هي ماحوزا أو الكرخ وسلوقية هي كوخي القديمة عينها. ونقرأ في طقوس النصارى أن بطريركهم بعد اختياره في سلوقية تقام مراسيم تنصيبه في الكرخ وهي ماحوزا أو طيسفون. فكل هذه المدن المختلفة المتعددة يقال لها المدائن»[5].

وكانت للمدائن منزلة سامية في تاريخ نصارى العراق وأول أسقف دبّر شؤون كرسيها الرسول مار ماري (المتوفى سنة 82م) وقد امتدت ولايته على تمادي الزمن من أقطار قبرص ومصر وسورية وفلسطين غرباً إلى بلاد تركستان والجزيرة وماذي وآشور وفارس شرقاً. ومن بلاد العرب وقرثية والعراق والهند والصين جنوباً إلى ارمنية وكردستان

---

(1) مناقب بغداد لابن الجوزي نشره الأستاذ محمد بهجة الاثري «بغداد 1342هـ» ص35.
(2) يزداندوخت الشريفة الأربيلية للمطران سليمان الصائغ «الموصل 1953» ص12 ـ 13.
(3) تاريخ كلدو وآثور: توطئة 2: 10. وتاريخ الموصل 2: 10.
(4) الكرخ كلمة آرمية (كرخا) معناها المدينة أو الحصن «دليل الراغبين ص353».
(5) Bibliothcca Orientalis, (Vol. III, Part. II, P. 623-625).

شمالاً. ويخضع له زهاء ثمانين مليوناً من النصارى وأكثر من مائتين وثلاثين أسقفاً يرأسهم سبعة وعشرون مطراناً يسوسون عدة ملائين من الرهبان في الديارات التي لا تزال أثارها باقية، وقد زاد عددها على مائتي دير»[1].

تعددت الكنائس في المدائن كما تعددت المدارس ولا نشك أن الجاثليق إبراهيم الكسكري (المتوفى سنة 120م) والجاثليق يعقوب (المتوفى سنة 176م) والجاثليق أحاد أبوي (المتوفى سنة 220م) اعتنوا بنشر المعارف وجدوا في تقدم المدارس. فقد علموا طلابها ووسعوا صفوفها ولا سيما عندما تخمد من حين إلى آخر نيران الاضطهادات. وذكر عن الجاثليق شحلوفا (المتوفى سنة 244م) أنه اهتم بدور التعليم وتفقد شؤون المساكين[2].

جاء في كتاب ذخيرة الأذهان عن الجاثليق مار فثيون (المتوفى سنة 741م): «وكان كرسي المدائن ودار الجاثليق وبيعته قد خربت فسعى في تعميرهاوأقام المدارس في كل مكان ولاسيما في المدائن. وعني في تنجيح العلوم»[3]. ووافى عنه في أخبار فطاركة كرسي المشرق: «ونصب في كرسيه اسكولا فتشبه به الأساقفة في عمارة البيع والاسكولات»[4].

---

(1) ذخيرة الأذهان 1: 159 ـ 161.

Gibbon (E): Decline and Fall of the Roman Empire. (London; 1914. Vol. VI, P. 46-50).

L'Eglise Chaldéenne Catholique Autrefois et Aujourd'hui (P.6).

(2) أخبار فطاركة كرسي المشرق ص7.

(3) ذخيرة الأذهان 1: 335.

(4) أخبار فطاركة كرسي المشرق ص66.

لقد تقدمت مدارس المدائن ودرجت في معارج الرقي وقام بأعبائها مديرون أفاضل ودرس في صفوفها أساتذة نوابغ منهم الجاثليق أقاق (المتوفى سنة 496م). فقد درس في مدرسة الرها وأخذ يجادل الفرس فحبسوه زمناً. وفي سنة (465م) دعي للتدريس في المدائن فكان فريد عصره ووحيد أيامه. وعقد مجمعاً في المدائن سنة (486م) حرم فيه تعاليم برصوما وأيد التعاليم والقوانين التي سنها الآباء في المشرق والمغرب. وأقام منازل خيرية لتربية الأطفال ووقف لها الاوقاف. وصنف عدة مصنفات تثبت علو منزلته في العلوم الكنسية[1].

وأنجبت مدارس المدائن تلاميذ كثيرين خدموا البلاد وأذاعوا المعارف في أنحائها وشادوا المعاهد العلمية في أطرافها. وممن وصلت إلينا أسماؤهم: الراهب الناسك مار حبيب (أواخر القرن السادس للميلاد). فكان من دير قردو وبعدما تثقف في إحدى مدارس طيسفون أتى جبل زمار[2] ومعه ثلاثون راهباً من نينوى حيث أقاموا دعائم دير ضخم وغب مدة أوحي إليه أن ينتقل إلى قرية كفرتوث[3] فانفرد في مغارة. وانضوى إليه رهبان عديدون فبنى لهم ديراً عظيماً[4].

بيد أن أكبر مدارس المدائن مدرسة أو كلية سلوقية التي شادها

---

(1) تاريخ كلدو وآثور 2: 147 ـ 151. وذخيرة الأذهان 1: 138 ـ 141. وأخبار فطاركة كرسي المشرق ص43.

(2) تبعد زمار عن تلعفر ثلاثة وثلاثون كيلومتراً. تلعفر كلمة آرمية مركبة من «تلا دعبرا» أي «تل التراب».

(3) كفرتوث مدينة كانت بين دارا ورأس العين في الجنوب الغربي من ماردين وهي الآن قرية «اللؤلؤ المنثور ص518».

(4) الديورة عدد 51، وتاريخ كلدو وآثور 2: 262 ـ 263. وذخيرة الأذهان 1: 253.

الجاثليق مار آبا الكبير (540 ـ 552م). وقد علم فيها بكل جد ونشاط إذ في أيامه أغلق الملك كسرى الأول الملقب بأنوشروان (531 ـ 578م) أبواب كلية نصيبين مدة سنتين فوافى عدد من تلاميذها إلى مدرسته. وعندما فتحت كليتهم ثانية رجع بعضهم إليها وبقي الآخرون. وهكذا على تعاقب الزمن اصبحت هذه المدرسة كلية لاهوتية واسعة الارجاء رحبة الانحاء تدرس فيها العلوم التي كانت تدرس إذ ذاك في كلية نصيبين. أما تلاميذها فكانوا يدعون أخوة يعيشون في القلالي ولا يسمح لهم بالزواج[1].

هذا ولا نشك إن جثالقة عديدين وسعوا بناء كلية سلوقية فسارت سيراً حثيثاً في سبيل النجاح وتقدمت تقدماً لا مزيد عليه. ولا عجب في ذلك إذ قام بشؤون التدريس في صفوفها ملافنة لا يشق لهم غبار أمثال الملفان أيوب الذي رشح عام (582م) أن يكون جاثليقاً والملفان ايشى (أواخر القرن السادس الميلادي) والملفان راميشوع والملفان جبرائيل قطرايا[2] والجاثليق يشوع برنون (المتوفى سنة 828م)[3]. وخرج منها تلاميذ عديدون حملوا مشعل العلوم إلى أقطار المسكونة ولا سيما في أقطارنا العراقية. فبنوا المعاهد للتهذيب وأسسوا الديرة للعبادة وشادوا النوادي لنشر الآداب. ومن هؤلاء التلاميذ:

---

(1) تاريخ كلدو وآثور 2: 175 ـ 176. وأخبار فطاركة كرسي المشرق ص49 ـ 53. والمجدل ص39 ـ 41. وتاريخ الأدب السرياني ص98 و154 ـ 155. وخلاصة تاريخية ص155 و175.

(2) قطرايا نسبة إلى بيث قطرايي أي القطر. ويراد ببيث قطرايي لدى كتبة الآرمية: الجزائر التي في خليج العجم وجميع النواحي الشمالية الشرقية من شبه جزيرة العرب.

(3) أخبار فطاركة كرسي المشرق ص50 و75. والمجدل ص40 و66. وذخيرة الأذهان 1: 188 و244 و387. وتاريخ الأدب السرياني ص160. وخلاصة تاريخية ص155 ـ 156 و164 و168. والتاريخ السعردي 2: 100 و201.

الجاثليق غريغور الأول (المتوفى سنة 609م) فكان من ميشان وقرأ على الملفان ايشى وصار مفسراً فيها واختارته جاثليقاً الملكة شيرين لأنّه من أهل بلدها غير أنه كان محباً للمال فاستاءت منه رعيته[1].

والجاثليق صليو زخا (المتوفى سنة 728م) الذي كان من كرخ فيروز من أقليم طيرهان[2] وسقف على الانبار[3]. ثم اتصل بشمعون مطران الموصل فنصبه مديراً على مدارس حزة. ثم أقيم مطراناً على حزة والموصل معاً. ثم نصب جاثليقاً سنة (614م) فاصلح شؤون شعبه وقطع دابر المنازعات وشاد الكراسي الحديثة لمطرانية هراة والهند وسمرقند[4].

وتثقف في كلية سلوقية سبريشوع مطران باجرمي (القرن السابع للميلاد). فقد بلغ خبر فضائله إلى عتبة والي إقليم باجرمي فاحب أن يراه فانفذ من يطلبه. ولما مثل بين يديه شفى ابنته وسأله أن يعفو من الجزية الكهنة والرهبان وتلاميذ المدارس فأجابه إلى ذلك[5].

ومنهم الجاثليق أبا الثاني (المتوفى سنة 752م). فكان متبحراً في العلوم جمّ الفضائل خطيباً مصقعاً. وقد رحل إلى الكوفة والحيرة ليتفقد أبناء طائفته. ثم استعطف يوسف بن عمر عامل آشور على النصارى فلبى طلبه ووهبه ما أراد. ومن مصنفاته سفر في تدبير الروح وشروح في الكتاب المقدس[6].

---

(1) المجدل ص51. وأخبار فطاركة كرسي المشرق ص60. وذخيرة الأذهان 1: 244 ـ 245. وتاريخ الادب السرياني ص159. والتاريخ السعردي 2: 201.

(2) كان أقليم طيرهان بين تكريت والسن. وألسن عند مختلط الزاب الصغير بدجلة.

(3) كانت الانبار على ضفة نهر الفرات الشرقية في جنوب الصقلاوية.

(4) ذخيرة الأذهان 1: 333 ـ 335. وأخبار فطاركة كرسي المشرق ص65.

(5) التاريخ السعردي 1: 312 ـ 313.

(6) خلاصة تاريخية ص168. وذخيرة الأذهان 1: 336 ـ 337. وأخبار فطاركة كرسي المشرق ص66.

ومنهم الجاثليق ايليا الأول (المتوفى سنة 1049م). فهو من أهل كرخ جدان واشتهر بالعلوم والفضائل. ومن مأثره الجليلة أنه سن قوانين وأحكاماً تحث أبناء شعبه على الآداب النصرانية ووضع كتاباً في أصول الدين والمسائل التهذيبية[1].

إن مدارس المدائن اخذت تتقهقر منذ انتقال الكرسي البطريركي إلى بغداد سنة (770م). غير ان عدداً عديداً من النصارى لم يهجروا المدائن ولم يغادروا كنائسها ودياراتها ومدارسها. وقد داهمتهم النكبات أيام اعتقل الكواكبي معلم بهاء الدولة الجاثليق مار ماري بن طوبي (المتوفى سنة 1000م) وقبض على الأساقفة والمطارنة ومزق شمل رعاياهم في البلاد. وما زاد في الطين بلة أحد اصحابه المعروف بابن البقال. فانحدر إلى دير قنى ونشر الدمار والخراب في انحائه. ثم بدد جماعات الرهبان والزهاد وصادر أموالهم.

قال المؤرخ ابن ماري: «وكان أحد اصحاب المعلم انحدر إلى دور قنى وتناهى في القبح وفعل الشر يعرف بابن البقال فشتت الرهبان وصادرهم[2].

ونشر المطران بطرس عزيز تقويماً قديماً في الكنيسة الكلدانية النسطورية لمؤلف مجهول الاسم عاش في أواخر القرن الثامن عشر للميلاد لأن أكثر أخباره تقع في مطاوي السنوات (1005 ـ 1700). وعلى الرغم مما فيه من المبالغة نورد ما سطره عن نصارى المدائن: «وكان يوجد فيه (أي في كرسي المدائن) بطريرك اسمه مار يعقوب جنسه من بيث غرما يعني كركوك. وكان تحت يده سبعة أساقفة على

(1) ذخيرة الأذهان 1: 455. وأخبار فطاركة كرسي المشرق ص118.
(2) فطاركة كرسي المشرق ص108 ـ 109.

ابرشية المدائن. وهم يعاونونه في سياسة الشعب. وكان تحت يدهم ستمائة قسيس وألفا شماس في أبرشية المدائن. وكان عدد المؤمنين في ابرشية المدائن داخلاً وخارجاً سبعة عشر ألفاً وثمانمائة بيت وجميعهم نساطرة»[1].

هذا ويستدل من سير الحوادث التاريخية أن النصارى قد اضمحلوا من المدائن في غضون القرن الرابع عشر للميلاد إذ لم يبق لهم ذكر. فقد اضحوا أثراً بعد عين.

مدارس نصارى كسكر

كانت كورة كسكر واسعة الأطراف خصبة الأراضي كثيرة النواحي وقصبتها قبل ان يمصر الحجاج واسطاً[2] خسرو سابور. وأما مدينة كسكر فكانت قرب واسط على نهر دجلة المندرس بين بغداد والبصرة. وقد ذكرها المؤرخون النصارى بلفظة كشكر وبقي هذا الاسم مستعملاً أبان سيادة الساسانيين وفي العصر الأموي[3].

وأتى في كتاب معجم ما استعجم: «معنى كسكر أرض الشعير. قال الجرجاني: إنما هو كشتكر فعرب ومعناه عامل الزرع[4]. وجاء في معجم البلدان: «وقصبتها (أي قصبة كسكر) اليوم القصبة التي بين

---

(1) تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية «بيروت 1919» ص22.

(2) هي واسط الحجاج بن يوسف الثقفي وقد شرع يبنيها سنة «84هـ ـ 703م» على جانبي عقيق دجلة القديم المعروف اليوم بالدجيلة على نحو «25» كيلومتراً من جنوب شرقي الحي التي على نهر الغراف. وقيل أنها سميت واسطاً لتوسطها بين الكوفة والبصرة والاهواز. فهي على خمسين فرسخاً من كل واحدة منها. وتعرف خرائبها الآن بالمنارة لأن منارة قديمة مازالت قائمة في مسجد الجانب الشرقي منها.

(3) مجلة سومر الجزء الثاني من السنة الخامسة ص298.

(4) معجم ما استعجم 1: 480.

الكوفة والبصرة. وكانت قصبتها قبل أن يمصر الحجاج واسطاً خسرو سابور. ويقال ان حد كورة كسكر من الجانب الشرقي في آخر سقي النهروان إلى أن تصب دجلة في البحر كله من كسكر فتدخل فيه على هذا البصرة ونواحيها. . . فلما مصرت العرب الامصار فرقتها. . . قالوا وسميت كسكر بكسكر بن طهمورث الملك الذي هو أصل الفرس وقد ذكر في فارس. وقال آخرون: معنى كسكر بلد الشعير بلغة أهل هراة»[1].

انتشرت النصرانية في ربوع كسكر في غضون المائة الأولى للميلاد نشرها الرسول مار ماري (المتوفى سنة 82م) وسقف عليها أول أسقف. ويمتاز أسقفها بنفوذه على سائر أساقفة المشرق إذ يضحي بعد وفاة الجاثليق النائب الشرعي حتى ينتخب غيره. فيكاتب المطارنة والأساقفة ليحضروا إلى الانتخاب فكان كرسيه أول الكراسي الأسقفية[2]. جاء في رسالة مار أبا الجاثليق المدعوة (يراقطيقا) أي العملية التي سطرها سنة (544م) وأيدها الجاثليق طيمثاوس الأول في القانون الأول من مجمعه المنعقد سنة (786م) بقوله: «لما ينتقل البطريرك من الحياة الزمنية فليأت أسقف كسكر مع أخوته اساقفة الابرشية الكبيرة إلى المدائن الجاثليقية وباتفاق المدائن يرسلون أولاً إلى مطران عيلام واساقفة ثم إلى مطران البصرة ثم إلى المطارنة المذكورين في هذه الرسالة». وبقي هذا النظام معمولاً به على الدوام[3].

لقد عظم شأن اساقفة كسكر وجدوا في خدمة الشعوب فنشروا العلوم والمعارف وشادوا الكنائس والديرة وبنوا المكاتب والمدارس نبغ فيها ادباء

---

(1) معجم البلدان 4: 274.

(2) الحيرة ص279 ـ 280 وأخبار فطاركة كرسي المشرق ص4 و70 و126. وذخيرة الأذهان 1: 38 ـ 39 و41 و156 و396 و398.

(3) الديورة ص7.

وعلماء أفاضل. ومن اساقفتها المعروفين شموئيل وأبا وتوما وايليا وإسرائيل وحنا نيشوع وهرمزد وغيرهم[1]. ومن الكسكريين الذين أقاموا أسس المدارس في اطرافها غريغور مطران نصيبين (المتوفى سنة 612م). فبعدما أقام في مدرسة سلوقية ردحاً من الزمن انتقل إلى مدرسة نصيبين حيث قرأ على إبراهيم المفسر ثم دعاه أهل اربل فصار استاذاً ومفسراً في مدارسهم زهاء أحد عشر عاماً. ثم عاد إلى مسقط رأسه وأسس دعائم أكبر مدرسة ضمت بين جدرانها ثلاثمائة طالب. وشاد مدرسة أخرى طالب تلاميذها بملازمة الصوم والصلاة. واقامه الجاثليق يشوعياب الارزوني (المتوفى سنة 595م) أسقفاً على كسكر وبأمر كسرى الثاني ابرويز نقل سنة (596م) مطراناً على نصيبين لتوثيق العلاقات الودية بين المملكة الفارسية والمملكة الرومانية. ومن تعاليمه أنه أنكر آراء حنانا عميد كلية نصيبين المؤيدة للتعاليم الكاثوليكية. وقد وبخه وحرمه وحرم كتبه. وحبر عدة كتب تاريخية كنسية تعرب عن تضلعه من سائر العلوم[2].

ومنهم الراهب الفاضل تيودور بركوني (أوائل القرن السابع الميلادي). فولد في كسكر وصار مفسراً في إحدى مدارسها. ثم بنى خارج المدينة ديراً ضخماً أسس فيه مدرسة دبر شؤونها بنفسه فاجتمع إليه الطلاب والمعلمون. وعاش إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب والتمس منه أن يعفو الرهبان من الجزية فاجابه إلى سؤاله[3].

وممن تهذب في قرية دارودان من أعمال كسكر إبراهيم الكبير

---

(1) المجدل ص38 و62 و64 و94. وأخبار فطاركة كرسي المشرق 81 و82 و129.

(2) تاريخ كلدو وآثور 2: 282. والديورة عدد 56، وذخيرة الأذهان 1: 196 ـ 197 و205، وخلاصة تاريخية ص156، وتاريخ الادب السرياني ص160.

(3) الديورة عدد 74. وذخيرة الأذهان 1: 256. وتاريخ كلدو وآثور 2: 262 ـ 264 و294 ـ 295. والتاريخ السعردي 2: 278 ـ 279.

(المتوفى سنة 588م) مصلح الرهبانية في المشرق وهو المعروف بمار إبراهيم الكسكري واللقب بأبي الرهبان. فبعد ان ترهب أم مدينة الحيرة ثم انطلق إلى جبل سيناء وقصد رهبان مصر وتعلم منهم قوانين الرهبانية. وعاد إلى مدرسة نصيبين وانفرد إلى جبل ايزلا[1] وشاد فيه ديراً عظيماً عرف بالدير الكبير طبقت شهرته الآفاق ودرس في صفوفه نساك عديدون امتازوا بالعلم والفضيلة كما امتاز رهبانه بالاكليل المرسوم على رؤوسهم[2]. وقد بقي هذا الدير زاهراً إلى سنة (1222م) وزالت آثاره في عهد المغول والتتار. ومن تلاميذ مار إبراهيم الكبير: القديس عنين والانبا شمعون ومار كني وغيرهم كثيرون. ومن مصنفاته سفره في قوانين الحياة النسكية طبعه المستشرق شابو في رومة سنة (1898م). قال المؤرخ ثوما المرجي: «في الزمن القديم كان طلاب الفلسفة يرحلون إلى اثينة. أما في زمن إبراهيم الكبير فمن يرغب الفلسفة الروحية يسرع إلى ديره»[3].

وتعلم في مدارس كسكر القديس الناسك الربان جيورجيس الكسكري (أواسط القرن السابع الميلادي). فقد قصد جبال فارس وأقام ديراً في مدرسة اصطهر تألب حوله رهبان كثيرون من كل ناحية ودفن في ديره[4].

هذا وأنجبت كسكر جثالقة ورهباناً واساقفة وعلماء عديدين عرفوا

---

(1) كان جبل ايزلا في جوار مدينة نصيبين.

(2) الاكليل دائرة محلوقة في قمة الرأس بحيث يبقى ما حولها غير محلوق.

(3) تاريخ كلدو وآثور 2: 257 ـ 262. وذخيرة الأذهان 1: 175 ـ 176 و186 ـ 187. والديورة عدد 10 و14 و15 و20 و28 و31. والتاريخ السعردي 2: 133 و140. وخلاصة تاريخية ص156.

Le Christianisme dans L'Empire Perse. (P.315-321).

(4) ذخيرة الأذهان 1: 271. والديورة عدد 101.

بتقواهم وحبهم لنشر العلم وتفانيهم في سبيل خير البشرية. ولا ريب أن أغلبهم أن لم أقل كلهم تثقفوا في معاهدها العلمية. فمن الجثالقة إبراهيم (المتوفى سنة 149م) وشحلوفا (المتوفى سنة 244م) وتومرصا (المتوفى سنة 399م).

كان الجاثليق إبراهيم الكسكري فاضلاً قديساً وقد جد في تدبير رعاياه وانقاذهم من الاضطهادات التي ألمت بهم. وقد استطاع أن يخمد نارها إذ شفي ابن الملك كسرى من مرضه. وكان الجاثليق شحلوفا خطيباً عالماً محنكاً في أمور الدنيا. وقد أحب المساكين ومد لهم يد المساعدة. وبنى عدة مدارس في البلاد وجادل المجوس فردَ كيدهم في نحرهم. وفي أيامه قامت الدولة الساسانية واستولت على بلادنا العراقية فساس أبناءه بكل روية. أما الجاثليق تومرصا فقد كان من مشاهير عصره ومن الرؤساء المعروفين بالعلم والزهد والفضيلة. فاهتم بترميم الكنائس وإصلاح المدارس التي استأصل شأفتها المجوس. ثم أقام اساقفة للبيع ولم يأذن بالدخول في الرهبانية إلا للشيوخ لتناقص النصارى من جراء الاضطهادات[1].

ومن الرهبان الكسكريين المشهورين يوحنا الذي تنسك في دير عين دقلا في جبل اوروك من ناحية باجرمي. ومار سركيس دودا الذي سكن مدة من الزمن في مغارته ثم أقام ديراً في أرض وطنه اجتمع إليه الرهبان الكثيرون. والقديس مار درسا الذي شاد ديراً في قرية اشكفيل الواقعة قرب دير قنى. ومار جبرائيل المتوفى نحو سنة (739م). فقد شاد خمسة ديرة: الأول في كسكر مسقط رأسه. والثاني في قرية كرسا

(1) أخبار فطاركة كرسي المشرق ص5 و7 و28. وذخيرة الأذهان 1: 50 و56 و92 ومجلة المشرق 22: 191. وأثر قديم ص78.

المجاورة لدير قنى ضم بين جدرانه زهاء مائتي راهب. والثالث في ناحية كسكر وعرف بدير جباري. والرابع في ماحوزا أريون من نواحي باجرمي والخامس في أعلى الموصل وهو الدير المعروف باسمه ودعته المصادر العربية الدير الأعلى[1]. وقد اشتهر بمدرسته العالية وتلاميذها الذين تثقفوا في صفوفها[2].

ومن اساقفة كسكر ووجهائها وأدبائها: الأسقف عبد يشوع ويعرف عند اليونانيين باسم مار ارخلاوس. وقد اشتهر بأخلاقه الحميدة وفضائله الجمة. وكان في عصره من العلماء الأفاضل. فجادل المبتدع ماني[3] ودحض تعاليمه بالبراهين الساطعة والأدلة اللامعة ولم يصل إلينا من مؤلفاته سوى هذه المجاولات التي نقلت منذ المائة الرابعة للميلاد من اللغة الآرمية إلى اليونانية واللاتينية. وأبا الذي نبغ في علوم الفلسفة والهيئة والطب هذا فضلاً عن تضلعه من عدة لغات. وكان محبوباً لدى كسرى ابرويز فانفذه سفيراً إلى موربقي (المتوفى سنة 602م) ويوحنا الذي أقامه كسرى ابرويز أميناً على خزائنه وبنى ديراً في وطنه غير أنه نكب بعد مقتل الملك واستبيحت أمواله. وشمعون ابن الطباخين وهو من الأدباء المعدودين وقد وضع كتاباً في التاريخ الكنسي[4].

هذا وكان النصارى إذ ذاك قد انتشروا في واسط مدينة الحجاج. قال

---

(1) انظر ص86 حاشية 1.

(2) ذخيرة الأذهان 1: 67 و257 و271 والديرورة عدد 10 و81 و86 و122.

(3) كانت ولادة ماني سنة (240م) وهو فارسي الأصل ولما بلغ أشده دان بالنصرانية ثم نبذها وادعى أنه الروح القدس. واتخذ له اثني عشر تلميذاً سماهم بأسماء رسل المسيح وأخذ يجوب معهم البلاد وهم يعلمون بالاهين إله خير وإله شر. وان النفس خلقه إله الخير والجسد خلقة إله الشر وهما في تضادد دائم.

(4) شهداء المشرق 1: 8 ـ 96. والدرر النفيسة ص47 وتاريخ كلدو وآثور 2: 23 و291 ـ 292. وذخيرة الأذهان 1: 61 و345 و349.

ابن خرداذبة (المتوفى سنة 300هـ - 913م) في كتابه المسالك والممالك: «جوالي[1] واسط ثلاثون ألف درهم»[2]. وفي مطاوي الفرن الحادي عشر للميلاد كان لكسكر وواسط أسقف واحد. فإن الجاثليق سبريشوع الثالث (المتوفى سنة 1072م) قد ارسل سنة (1064م) جيورجيس أسقف كسكر إلى بلاد ما وراء النهر وسجستان والخطا (الصين الشمالية)[3]. وأقام هرمزد القس الراهب المعروف بأبي العلاء الصيرفي أسقفاً على كسكر وواسط[4]. كما ان الجاثليق ايليا الثاني (المتوفى سنة 1131م) نصب سبر يشوع ابن أبي حيلة أسقفاً على كسكر وواسط معاً[5]. ولا نشك إن الخراب قد استولي على واسط وكسكر في القرن الخامس عشر للميلاد أيام ابتعاد مجرى دجلة عنهما وتحول إلى مجراه الشرقي المنحدر إلى القرنة[6].

مدارس نصارى الحيرة

تقع مدينة الحيرة[7] في جنوبي الكوفة على ثلاثة أميال منها أو في جنوبي خرائب بابل على نحو عشرة أميال منها. ويشاهد اليوم اطلال مبانيها وقصورها وديرتها وبيعها في ناحية الجعارة سابقاً. وتسمى الآن ناحية الحيرة وهي من نواحي لواء الديوانية. أما زمن تأسيسها فقد أتى في كتاب كيف انتقلت العلوم اليونانية إلى العرب ما يأتي: «الحيرة (كلمة

(1) الجوالي مفردها الجالية: الجزية التي تؤخذ من أهل الذمة.
(2) المسالك والممالك لابن خرداذبة «ليدن 1889» ص59.
(3) ذخيرة الأذهان 2: 166.
(4) أخبار فطاركة كرسي المشرق ص124.
(5) المجدل ص13.
(6) بلدان الخلافة الشرقية ص60.
(7) الحيرة كلمة آرمية معناها الحصن أو الدير أو المعسكر «دليل الراغبين ص209».

آرمية) أسست نحو سنة (240ق.م) وعرفت من المدن البرثية باسم ارتا «Ertha»[1]. وجاء في تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء: «فكانت الحيرة والانبار بنيتا في زمان تولية بختنصر العراق. فخربت الحيرة لتحول أهلها عنها عند هلاك بختنصر إلى الأنبار. وعمرت الأنبار خمسمائة وخمسين سنة إلى ان بدأت الحيرة في العمارة في أيام ملك عمرو بن عدي باتخاذه إياها منزلاً. فعمرت الحيرة خمسمائة وبضعاً وثلثين سنة إلى أن وضعت الكوفة ونزلها عرب الإسلام»[2].

لقد عظم شأن الحيرة في أيام الملك عمرو بن عدي من آل نصر اللخميين وبقيت عاصمتهم حتى الفتح العربي. وحاصرها الإسلام لأهميتها السوقية وتمسك أهلها بالعروبة. وسقطت بين أيديهم سنة (12هـ ـ 633م) بدون مقاومة حربية[3]. ونزلها خلفاء عديدون منهم أبو العباس السفاح والمنصور والرشيد وغيرهم لطيب هوائها وصفاء جوها وصحة تربتها[4]. أما سكانها فقد قسمهم المؤرخون إلى ثلاثة أصناف: «فثلث تنوخ وهم كانوا اصحاب المظال وبيوت الشعر ينزلون غربي الفرات فيما بين الحيرة والانبار فما فوقها. والثلث الثاني العباد[5] وهم الذين سكنوا الحيرة وابتنوا فيها وهم قبائل شتى تعبدوا لملوكها وأقاموا هناك. وثلث الاحلاف وهم الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيها من لم يكن من تنوخ الوبر ولا من العباد الذين دانوا لاردشير»[6].

---

(1) De Lacy O'Leary: How Greek Science Passed to the Arabs. (London, 1948, P.184).

(2) تاريخ سني ملوك الأرض والانبياء لحمزة الاصفهاني «برلين 1340هـ» ص66.

(3) Brockelman (C): History of the Islamic Peoples (New York, 1947, P.51).

(4) مروج الذهب للمسعودي «باريس 1864» 3: 213.

(5) انظر ص80.

(6) معجم البلدان 2: 379.

لقد انتشرت النصرانية في ربوع الحيرة منذ ظهورها وقوي شأنها في القرن الرابع الميلادي. وقد بلغ إلينا أسماء بعض أساقفتها منهم هوشع حضر سنة (410م) مجمع الجاثليق اسحق. وشمعون وقع سنة (424م) على أعمال مجمع يابالاها. ويوسف وافى سنة (585م) مجمع يشوعياب الارزوني وغيرهم[1]. وقضت السياسة إذ ذاك على امرائها أن يطيعوا الدولة الساسانية ويحاربوا في صفوف جنودها ضد ملوك الروم لكي يعفوا من دفع الاتاوة[2].

جاء في كتاب نصرانية العرب الرحل ما يأتي: «في الشرق القبائل التنوخية المعروفة بالعباد وهناك نصارى الحيرة عاصمة الرؤساء اللخميين الواقعة في على شاطئ الفرات الأيمن في جنوب غربي بغداد الخاضعة لنفوذ الفرس»[3].

وكان في الحيرة وفي اطرافها كنائس وديارات كثيرة شادها الملوك والأمراء والاغنياء والنساك[4] وقد نزلها جنود العرب أيام افتتحوها[5]. ودفن في مقابرها جثالقة عديدون منهم: مار بابوي الذي استشهد سنة (481م) ومار اقاق (المتوفى سنة 496م) ومار أبا الكبير (المتوفى سنة 512م) ومار حزقيال (المتوفى سنة 581م) ومار

---

(1) تاريخ كلدو وآثور 2: 207 ـ 208. والمجدل ص48 و57 و6 و94. وتاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي «بغداد 1951 ـ 1955» 4: 7.

(2) النصرانية وآدابها 1: 87 ـ 92 و2: 452 ـ 453، وتاريخ مختصر الدول ص148 وتاريخ كلدو وآثور 2: 207 ـ 212 و225.

(3) Charles (H): Le Christianisme des Arabes Nomades. (Paris, 1936, P. 4).

(4) راجع عن ديارات الحيرة: تاريخ نصارى العراق ص24. والحيرة ص41 ـ 49. والنصرانية وآدابها 1: 78 ـ 87. ومعجم البلدان 2: 651 و656 و677 و693 و709.

(5) تاريخ الأمم والملوك للطبري (الطبعة المصرية) 4: 12. وتاريخ الكامل 2: 149. وتاريخ كلدو وآثور 2: 252. والتاريخ السعردي 2: 307.

يشوعياب الارزوني (المتوفى سنة 595م) ومار إبراهيم الثاني (المتوفى سنة 853م)[1] وغيرهم.

ووافى إن أهل الحيرة كانوا يرسلون ابناءهم إلى الكتاب يعلمونهم القراءة والكتابة العربية. كما كان بعضهم يختلفون إلى الكتاتيب الفارسية[2] وكان بين سكانها أناس يتكلمون اللغة الآرمية[3] وغيرهم يعنون بتدوين أخبارهم وأنساب ملوكهم ويضعون ما يدونونه في البيع. كما عرب غيرهم مصنفات فارسية عديدة. وقد تعلم منهم النضر بن الحارث أخبار العجم ولما رجع إلى الحجاز اخذ يحدثهم عن رستم واسفنديار من ملوك فارس[4].

لقد أقام نصارى الحيرة مكاتب ومدارس ولا سيما في جوار بيعهم وديرتهم أو في داخلها يعلمون فيها أبناءهم العربية والآرمية. واشتهر اكثرها اشتهاراً لا مزيد عليه. فأرسل الملك يزدجرد الأول ابنه بهرام جور (المتوفى سنة 438م) إلى الحيرة فتهذب فيها وبرع في العلوم العربية وفن الموسيقى[5]. جاء في تاريخ الدول الفارسية في العراق: «لما مرض بهرام ابن الملك يزدجرد الأول أعطاه وهو طفل الملك النعمان الأول ليربيه في الحيرة لطيب هوائها وعذوبة مائها فرباه أحسن تربية وعلمه الكتابة والحكمة والرمي والفروسية وكل ما يلزم للملوك»[6].

(1) المجدل 31 و35 و41 و44 و49 و71.
(2) الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (طبعة ساسي 1322 ـ 1323هـ) 2: 19.
(3) How Greek Science Passed to the Arabs. (P.68).
(4) أطلب تاريخ العرب قبل الإسلام 1: 13 وما بعدها.
(5) مجلة النجم 4: 354.
(6) تاريخ الدول الفارسية في العراق ص37.

وذكر إن الملك عمرو بن هند زود الشاعرين طرفة بن العبد والمتلمس برسالتين إلى عامله في البحرين يطلب فيهما هلاكهما وقال لهما: «انطلقا إليه وخذا جوائزكما». فحملا الكتابين وسارا حتى بلغا النجف. فقال المتلمس لطرفة: «تعلمن والله أن ارتياح عمرو لي ولك لأمر عندي مريب. وإني لا أنطلق بصحيفة لا أدري ما فيها». فقال طرفة: «إنك لتسيء الظن وما تخاف من صحيفة ان كان فيها ما وعدنا وإلا رجعنا فلم نترك منه شيئاً». فأبى المتلمس أن يجيبه وعدل إلى حيث رأى غلاماً عبادياً من غلمان الحيرة فدفع إليه الصحيفة ليقرأها له. فلما نظر الغلام فيها قال: «ثكلت المتلمس امه». فأخذ المتلمس الصحيفة وقذفها في البحيرة ثم ترك طرفة وهرب إلى الشام[1].

تعددت المعاهد التهذيبية في انحاء الحيرة وتمهر سكانها في الكتابة العربية وحذقوا في صناعة التدريس وخطهم الحيري أشهر مما يذكر وقد تعلمه الكثيرون[2]. وقيل أن أول العرب كتب بالعربية حرب بن أمية بن عبد شمس تعلم من أهل الحيرة. وحدثنا عبد الله بن محمد الزهري حدثنا سفيان عن مجالد عن الشعبي قال: سألنا المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة، قالوا تعلمنا من أهل الحيرة[3].

وكان بشر بن عبد الله العبادي علم أبا سفيان بن أمية وأبا قيس بن عبد مناف بن زهرة الكتاب فعلما أهل مكة[4]. وقرأ الشاعر المرقش الأكبر وهو أبو عمرو الشيباني وأخوه حرملة على نصراني من أهل

(1) الأغاني 21: 125.
(2) فتوح البلدان للبلاذري (ليدن 1866) ص471. ومقدمة ابن خلدون «بيروت 1900» ص418. ومجلة المشرق 30: 577.
(3) المزهر للسيوطي (مصر 1325هـ) 2: 215.
(4) المعارف لابن قتيبة (مصر 1353هـ) ص240.

الحيرة[1]. وتضلع عدي بن زيد وزيد بن عدي من الكتابة العربية في الحيرة وهما ممن تولوا ديوان كسرى[2]. وكان جفينة النصراني من أهل الحيرة يعلم الكتاب في المدينة في عهد عمر بن الخطاب[3]. قال المستشرق العلّامة ولهوزن: «إن الكتابة العربية شاعت أولاً بين النصارى ولا سيما بين العباديين في الحيرة»[4].

كثرت معاهد النصارى العلمية في الحيرة وتعددت مناهجها. ومن المدارس التي وصلت إلينا اسماؤها مدرسة قيورا الرهوي الذي تعلم في كلية نصيبين ثم رافق الجاثليق مار أبا الأول (المتوفى سنة 552م) مؤسس كلية المدائن. وهو من العلماء المعدودين في أيامه. وقد وضع عدة مؤلفات تعرب عن طول باعه في العلوم اللاهوتية[5].

ومن تلاميذ الجاثليق مار أبا الأول المار ذكره الذين علموا في مدينة الحيرة قيواي[6] وسرجيس بن ساحيق مؤلف شروح النبيين ارمياء وحزقيال[7]. ودرس في مدارس الحيرة إبراهيم الذي دعاه الجاثليق يشوعياب الثاني (المتوفى سنة 647م) ليعاضده في شؤونه وقد أقامه مطراناً على نصيبين[8]. كما دعا جيورجيس الأول (المتوفى سنة

---

(1) الأغاني 5: 181.

(2) شعراء النصرانية قبل الإسلام للأب لويس شيخو (بيروت 1934) ص473. والأغاني 2: 19 و27.

(3) الطبقات الكبيرة لابن سعد (ليدن 1221هـ) 3: 258.

(4) طالع النصرانية وآدابها 1: 157.

(5) تاريخ كلدو وآثور 2: 278. وتاريخ الادب السرياني ص156.

(6) المجدل ص40.

(7) تاريخ الأدب السرياني ص156.

(8) تاريخ كلدو وآثور 2: 254.

681م) أحد أساتذة مدارس الحيرة ليحسم الخلاف القائم إذ ذاك بينه وبين مطران نصيبين[1].

ومن التلاميذ الذين تهذبوا في معاهد الحيرة العلمية مار ايليا الحيري. فقصد دير ايزلا وتتلمذ لإبراهيم الكبير. ثم رحل إلى أرض نينوى وسكن ضفة دجلة حيث أقام نحو سنة(604م) دعائم ديره المعروف بأسمه. وهو في غربي الموصل على بعد زهاء ساعة وخمس عشرة دقيقة مشياً على الأقدام. ويعرف أيضاً بدير سعيد أو بالدير المنقوش[2]. قال الحموي: «دير سعيد بغربي الموصل قريب من دجلة حسن البناء واسع الفناء وحوله قلالي كثيرة للرهبان وهو إلى جانب تل يقال له تل بادع يكتسي أيام الربيع ظرائف الزهر[3].

ومنهم مار عبدا الكبير. فكان مجوسياً وبعدما دان بالنصرانية تمهر في المعارف الدينية. ثم ذهب لدى الناسك باباي ومكث عنده زمناً طويلاً اشتهر في أثنائه بالتقوى والقداسة. وقد شاد عبدا الصغير تلميذه ديراً على قبره عرف بدير مار عبدا أو بدير معرى[4].

ومنهم عبدا الصغير. فكان ذا ثروة طائلة وقد تتلمذ لباباي وعبدا الكبير كما تتلمذ له عدة تلاميذ. وبنى في جوار نهر كمرا ديراً عرف بهذا الاسم وأقام عليه رئيساً إبراهيم الحيري وعاونه على بنائه قيس الحيري[5].

---

(1) الحيرة ص54.

(2) مجلة النجم 7: 132 ـ 137. الديورة عدد 19. وتاريخ الموصل 1: 276. وذخيرة الأذهان 1: 202. والتاريخ السعردي 2: 125.

(3) معجم البلدان 2: 669.

(4) الديورة عدد 75. والتاريخ السعردي 2: 229 ـ 230. وتاريخ كلدو وآثور 2: 266.

(5) التاريخ السعردي 2: 266 ـ 269. والديورة عدد 76 و77. وتاريخ كلدو وآثور 2: 266.

هؤلاء وغيرهم نبغوا في مدارس نصارى الحيرة. وبقيت تلك المعاهد العلمية زاهية إلى المائة العاشرة للميلاد. أما عمران الحيرة فأخذ يتناقص أيام انشأ المسلمون مدينة الكوفة سنة (17هـ ـ 638م) كما ان سكانها أخذوا يهاجرونها حتى لم يبق لهم باق. قال المسعودي (المتوفى سنة 345هـ ـ 956م): «وقد كان فيها (الحيرة) ديارات كثيرة فيها رهبان فلحقوا بغيرها من البلاد لتداعي الخراب إليها وأقفرت من كل أنس في هذا الوقت إلا الصدى والبوم»[1].

مدارس نصارى كركوك

قد ذكرت المصادر النصرانية ان سردنابال ملك آشور انشأ مدينة كركوك في كورة بيث كرماي (باجرمي). وأقام رجلاً اسمه كرماي (كرمي) حاكماً عليها. أما سبب بنائها فان ارباق أحد ملوك الماذيين شق عصا الطاعة عليه فأبعده سردنابال عن منصبه. بيد أنه كان يتحين الفرص للتغلب عليه فأعد العدة وحاصره في عاصمته نينوى مدة سنتين. وحينما لم يستطع أن يقاومه أضرم النار في قصره فهلك هو ونساؤه[2].

أن ما ذكرته هذه المصادر لا يعتمد عليه إذ لا وجود لملك آشوري بهذا الاسم وإنما الاغريق دعوا غلطاً (آشوربانيبال) سردنابال. وقد أيدت المصادر التاريخية أن أخا آشوربانيبال (شمس ـ شم ـ أو كن) حاكم بابل تمرد عليه واعتصم في مدينته، ولما نفذت مؤونته التجأ إلى قصره مع أهله وأشعل النار فيه فمات حرقاً مفضلاً الموت على

(1) مروج الذهب 3: 213 ـ 214.

(2) قصص الشهداء طبعة الأب بولس بيجان (ليبسيك 1890 ـ 1895) 2: 205 وما بعدها.

وقوعه بيد أخيه[1]. وأن الرواية الاغريقية بهلاك سردنابال في نيران قصره عندما هاجمه الماذيون ملتبسة باسطورة موت أخيه في بابل[2].

ويبدو لنا مما تقدم أن مدينة كركوك من المدن الآشورية القديمة. وقد شادها الملك الآشوري اشوربانيبال (المتوفى سنة 626ق.م) على التل الأثري الذي تقوم عليه بين ابنية مدينة يرتقي عهدها إلى منتصف الالف الثاني قبل الميلاد تعرف باسم اربخا (Arrapkha) الذي حرف حديثاً إلى صورة أرافا وأطلق على حي العمال الجديد في شركة النفط[3].

بنى الملك آشور بانيبال حصوناً وقلاعاً بين أبنية اربخا[4] ثم أتى بعدد من رعاياه وأسكنهم فيها وأقام رجلا اسمه كرماي أو جرماي حاكماً عليها وعلى انحائها فنسبت إليه الكورة كلها ودعيت بيث كرماي أو باجرمي أي منزل أو حصن جرماي. ولما انتقل حكم العراق إلى سلوقس (311 ـ 282ق.م) أحد قواد الاسكندر الكبير (336 ـ 323ق.م) هدم معظم مبانيها القديمة وزاد على عمارتها وشاد بروجاً عالية فوق قلعتها[5] وسميت كرخ سلوخ[6] وانتقلت إلى البرثيين ثم إلى الساسانيين وبقيت تحت سيطرتهم إلى استيلاء العرب على العراق. وقد دعاها بطليموس (كور كورا) بكافين فارسيتين

---

(1) تاريخ كلدو وآثور 1: 128 ـ 129.

(2) الرافدان ص97 ـ 110.

(3) بلدان الخلافة الشرقية ص121 حاشية 19 من الترجمة العربية.

(4) يظهر ان كلمة اربخا مأخوذة من الكلمة الآرمية «ربخا» بمعنى الحبل الذي فيه عدة عرى يشد به الخروف خاصة «دليل الراغبين ص717»: اشارة إلى القلاع المشدودة القريبة بعضها من بعض.

(5) تاريخ الموصل 1: 50. ومجلة النجم 12: 342 ـ 344.

(6) كرخ سلوخ كما رأينا منحوتة من الآرمية «كرخا دبيث سلوخ» أي مدينة أو حصن سلوقس وسميت اليوم كركوك مختصر كرخ سلوخ. ودعيت أيضاً باسلوخ والكرخ.

وسماها سترابون (ديمترياس). وجاء ذكرها في المصادر العربية كرخيني[1].

كانت كركوك قاعدة باجرمي وقد نشر فيها النصرانية مار ادي ومار ماري في عهد البرثيين في أواخر القرن الأول للميلاد[2]. ثم ازداد فيها عدد النصارى فأقام الجاثليق مار شمعون برصباعي (المتوفى سنة 341م) أول مطران لها في شهر قرد[3] ثم أقيم في كركوك مطران آخر. وبعد مرور زمن مديد صار الكرسيان كرسياً واحداً في كركوك عرف باسم باجرمي أي بأس الإقليم كله[4].

واشتهرت كركوك بشهدائها الذين نالوا اكليل الاستشهاد في أيام سابور الثاني (المتوفى سنة 379م) وفي عهد يزدجرد الثاني (المتوفى سنة 457م) أمثال مار معنى ومار سابور ومار اسحق ومار يوحنا ومار طهمزقرد. كما اشتهرت بأساقفتها ومطارينها ورهبانها القديسين أشهرهم الأسقف يوحنا الذي رافق يعقوب النصيبيني إلى مجمع نيقية والمطران جبرائيل المعروف براقودا والقديس مار افنيمارن[5].

وقد ورد في كتاب أشهر شهداء المشرق ما خلاصته: «دانت مدينة

---

(1) مراصد الاطلاع 2: 487. ومعجم البلدان 4: 257. والحوادث الجامعة لابن الفوطي صححه وعلق عليه الدكتور مصطفى جواد (بغداد 1351) ص27 و29. ومجلة سومر الجزء الأول من العدد التاسع ص171 ـ 172. والعراق قديماً وحديثاً لعبد الرزاق الحسني (صيدا 1361) ص190 ـ 191.

(2) تاريخ كلدو وآثور 2: 6.

(3) شهر قرد أو شهر قرت أو شهر كرد: كانت مدينة في شرقي كركوك.

(4) ذخيرة الأذهان 1: 79 و104 و147 و508 ـ 509 وتاريخ كلدو وآثور 2: 62 ـ 64 و79 و122 ـ 126. وأخبار فطاركة كرسي المشرق ص18.

(5) الديورة عدد 94. وذخيرة الأذهان 1: 348. وأشهر شهداء المشرق 2: 224 ـ 237. مشيحزخا طبعة الأب الفونس منكنا (الموصل 1907) ص30.

كرخ سلوخ بالنصرانية على عهد مار ادي ومار ماري. وبأذن من مطران شهر قرد تولى امرها الأسقف طقريطس وبنى فيها كنيسة. وخلفه الأسقف عبد يشوع ثم أساقفه عديدون إلى أيام أسقفها معنى الذي قتل رجماً بالحجارة في اثناء اضطهاد سابور. وخلفه الأسقف الشهيد مار اسحق وقام بعده يوحنا. ثم خلفه عقبلاها الذي استشهد في عهد بهرام. وقام بعده الشهيد برحذبشبا ومار اخسنايا ومار سابوربراز. وقد اشتهر هؤلاء الاساقفة بالقداسة والغيرة ولا سيما مار يوحنا الذي خلف سابور براز ونال أكليل الاستشهاد مع عدد عديد من أفراد ابرشيته[1]. قال المؤرخ عمرو بن متى: «ارسل شابور الكافر قتل النصارى في باجرمي وكرخ سلوخ والاهواز والدير الأحمر واربل وآشور والموصل ونينوى والمرج والجزيرة والفرات جملة الكل مائة ألف وتسعين ألفاً»[2].

كانت في كركوك مدارس نصرانية كثيرة بيد أن اكبرها واعلاها شأناً المدرسة التي علم فيها الملفان دنحا (القرن السادس الميلادي). وأشهر من أنجبت هذه المدارس الناسك الشهيد يزدين والأسقف طيطوس والمطران شوحلمارن[3].

كان الراهب يزدين من أشراف مدينة الكرخ وقد اتخذ له مسكناً في جوارها منقطعاً إلى العبادة متبحراً في أسرارها. ثم لحق به ابن اخته فثيون وأخذا يبشران بالنصرانية بين الوثنيين فقبضوا عليهما وأذاقوهما العذاب الاليم حتى استشهدا[4].

---

(1) اشهر شهداء المشرق 2: 624. والتاريخ السعردي 1: 222.

(2) المجدل ص18.

(3) شوحلمارن: كلمة آرمية مركبة من «شوحا لمارن» بمعنى المجد لربنا.

(4) الديورة عدد 13.

وكان طيطوس من نواحي شهرزور فتركها هو وأمه خوفاً من الطاعون ووافيا مدينة كركوك. وبعدما قرأ على الملفان دنحا سقفه الجاثليق حزقيال (570 ـ 581م) على مدينة حدثا[1]. وفي سنة (604م) أيام خرج الصراف يزدين[2] وكسرى الثاني ابرويز (590 ـ 628م) على دارا دفع يزدين إلى طيطوس ثلاثمائة دينار أقام بها كنيسة في كرسيه[3].

أما شوحلمارن مطران باسلوخ فكان معاصراً للجاثليق غريغور الأول (605 ـ 609م). وقد وشى به الطبيب جبرائيل السنجاري لدى الملك كسرى الثاني ابرويز مدعياً أنه حث بعض السفلة على قتله. فنفاه الملك ومات بعيداً عن كرسيه. ولشوحلمارن مصنفات عديدة تدل على تضلعه من العلوم الدينية. فحبر كتباً عديدة في الحياة النسكية وكتب رسائل ومجموعة حكم للزهاد ووضع كتاب الاجزاء في ثلاثة أقسام عن تعاليم المسيح في التواضع والمحبة وألف كتاب رؤوس المعرفة[4].

هذا ويستدل من أنباء التاريخ ان الاضطرابات الداخلية والانقلابات السياسية اخذت تنتشر من وقت إلى آخر في انحاء كركوك ولا سيما في عهد المغول والتتار. ثم داهمتها سنة (1145هـ ـ 1732م) اشد المحن

---

(1) كانت حدثا على ساحل دجلة في الموقع المدعو الآن حمام العليل. «تاريخ كلدو وآثور: توطئة ص14».

(2) كان الصراف يزدين محبوباً معززاً لدى كسرى الثاني ابرويز. وقد أقامه أمين خزائنه وولاه على أقطار باجرمي بأجمعها. وشاد كنائس وديرة كثيرة وأثنى عليه المؤرخون ولقبوه برئيس المؤمنين «راجع تاريخ كلدو وآثور 2: 231. وذخيرة الأذهان 1: 245. والتاريخ السعردي 2: 458.

(3) الديورة عدد 54. وتاريخ كلدو وآثور 2: 225. والتاريخ السعردي 2: 253.

(4) تاريخ الأدب السرياني ص162. والديورة عدد 58. وتاريخ كلدو وآثور 2: 234 و291، وذخيرة الأذهان 1: 237.

أيام حاصرها وافتتحها نادر شاه فكانت عساكره الجرارة حيثما مرت خربت وأنى سارت دمرت فقتلت الرجال وسبت النساء حتى ارتعدت فرائص أهالي هذه البلاد لشدة ما أصابهم من الهلع والولايلات[1].

إن عدد نصارى كركوك اخذ يزداد أو ينقص تبعاً للاحوال السياسية والاضطهادات المتواترة وان مدارسها لم تر ملجأ تلوذ به سوى الكنائس والديرة. وقد جاء في التقويم القديم للكنيسة النسطورية المار ذكره: «وكان في مدينة غرما أعني كركوك مطر ابوليط اسمه مار ايليشاع من أمد وكان تحت يده أسقف واحد اسمه حنا نيشوع من نصيبين وكان لهما ثلاث كنائس: الكنيسة الأولى اسمها طاماسغرت والثانية مار ميكائيل والثالثة مريم البتول. وكان عدد المؤمنين خارج البلد وداخله الفي بيت نساطرة»[2]. وقد شاهد الرحالة نيبور أيام زارها سنة (1766م) أربعين كلدانياً ونسطورياً[3]. وأما اليوم فعدد النصارى فيها يزداد على سبعة آلاف.

مدارس نصارى اربل

اربل من أقدم المدن الآشورية وقد حافظت على اسمها حتى اليوم[4]. وعرفت في الرقم المسمارية باسم (اربا ـ ايلو) أي مدينة أربعة الآلهة. وذكرتها الرقم الفارسية القديمة باسم (اربيرة)[5]. ودعاها المؤرخون النصارى اربل أو حزة وكانت عاصمة حدياب التي

(1) تاريخ الموصل 1: 275.
(2) تقويم قديم ص18.
(3) رحلة نيبور في العراق: مجلة سومر الجزء الثاني من المجلد التاسع ص254.
(4) تسمى اربل أيضاً «اربيل وأرويل وأوريل وأولير وهولير» والصيغ الثلاث الأخيرة هي حسب نطق الاكراد لاسمها «بلدان الخلافة الشرقية ص122 حاشية 21».
(5) العراق قديماً وحديثاً ص209.

نشر النصرانية في ربوعها مار ادي في مطاوي المائة الأولى للميلاد. وأول من سقف على اربل تلميذه بقيذا سنة (104م). وأول من رفعها إلى المقام المطراني الجاثليق فافا نحو سنة (300م). وكانت الموصل[1] إذ ذاك أسقفية تابعة لها.

لقد كثر في اربل عدد النصارى وتقدمت في معارج المعارف والعمران واشتهرت بشهدائها الابرار الذين صبغوا أرضها بدمائهم الزكية. وحق لها أن تفتخر باساقفتها ومطارينها العديدين وبكنائسها واديارها الكثيرة[2] كما حق لها إن تفتخر بمدارسها الزاهرة التي نبغ في صفوفها علماء ومدرسون عرفوا بالفضل والادب ونالوا بغزارة علمهم المراتب العالية. ومن اشهر مدرسيها سركيس وبولس مطران نصيبين وهما من تلاميذ مار أبا الكبير مؤسس كلية سلوقية (المتوفى سنة 552م). فقد شرح سركيس نبوءة ارمياء وحزقيال ودانيال[3]. واما بولس فدرس في مدارس اربل أكثر من ثلاثين عاماً. وسار سنة (532م) إلى بيرنطية إذ دعاه الملك يوستينيانوس (527 ـ 565م) ليلقي محاضرات فلسفية أو شروحاً في الكتاب المقدس على وزرائه نشرها في كتاب جليل. وكتب بحثاً ضمنه تعاليم تيودور كمدخل إلى

---

(1) كان موقع الموصل قديماً قلعة آشورية ثم اتسعت قبل دخولها في حكم العرب فصارت مدينة صغيرة سماها كتبة الآرمية الحصن العبوري «حسنا عبرايا» أي القلعة التي على الضفة الأخرى من دجلة قبالة نينوى «تاريخ الموصل 1: 40». فهي اليوم في موقع القليعات القريب من محلة بيعة مار يشوعياب برقوصري المعروفة الآن بمار اشعياء. وقد دعاها العرب الموصل لأنها الواصل بين الجزيرة والعراق وبين دجلة والفرات.

(2) تاريخ كلدو وآثور 2: 80 ـ 81. وذخيرة الأذهان 1: 86 و90 ـ 91 و197 و255 و262 و431 و2: 75 و80 و168. والديورة عدد 11 و60.

(3) المجدل ص40. وذخيرة الأذهان 1: 184. وتاريخ كلدو وآثور 2: 279.

الكتب المنزلة نقله إلى اللاتينية يونيليوس الافريقي. ومن انفس مؤلفاته سفره المعروف بضوابط الشريعة الإلهية دبجه بدرر العلوم اللاهوتية[1].

وممن درس في مدارس اربل غريغور الكسكري مطران نصيبين (المتوفى سنة 612م). فقد تهذب في مدارس المدائن وعلم في حزة (اربل) إحدى عشرة سنة وحبر كتباً شتى في مواضيع نسكية وتاريخاً كنسياً لم يصل إلينا. وانشأ قبل أن يكون مطراناً (سنة 596م) مدرسة واسعة الاطراف في بلدته. وقد تكلمنا عنها في بحث مدارس كسكر[2].

تقدمت مدارس اربل بمدرسيها المشهورين وخرج منها تلاميذ عديدون منهم مار داديشوع(المتوفى سنة 604). فقد ولد في بيث ارمايي نحو سنة (529م). وقبل أن يتضلع من الآداب فيها درس في مدرسة نصيبين ثم انتقل إلى جبال حدياب وبقي سبع سنوات في دير ريشا[3] مع الربان اسطيفان. ولما بلغه خبر الراهب إبراهيم الكسكري مجدد الرهبانية في المشرق توجه إليه وانخرط في سلك نساكه مقتدياً بفضائله. ثم تراس الدير بعد وفاة معلمه ووضع انظمة لرهبانه[4].

ومنهم الراهب سبريشوع. فقد كان من نينوى وتتلمذ للراهب إبراهيم الكبير وشاد ديراً في بيث نوهدرا عرف بعمر دعابا شبيرا أي دير الغابة الجميلة[5].

---

(1) خلاصة تاريخية ص156. ومشيحزخا ص75 وتاريخ كلدو وآثور 2: 174 و280. وتاريخ الأدب السرياني ص156. وتاريخ الموصل 2: 19 ـ 20.

(2) انظر ص98 ـ 99.

(3) ريشا كلمة آرمية معناها الراس. وكان هذا الدير قريباً من قرية تني في انحاء العمادية.

(4) تاريخ كلدو وآثور 2: 257 ـ 258. والديورة عدد 38. وذخيرة الأذهان 1: 200.

(5) الديورة عدد 26. وتاريخ كلدو وآثور 2: 260. وتاريخ الموصل 2: 22.

ومنهم الجاثليق مار طيمثاوس (المتوفى سنة 823م). فبعدما قرأ العلوم على إبراهيم الأعرج أقيم أسقفاً على كرسي بابغاش ثم جاثليقاً سنة (780م). وقد اشتهر بأعماله المبرورة منها: أنه أيد روابط الصداقة بين كرسي المدائن ومطارنه الفرس ونصب اساقفة عديدين أرسلهم إلى البلاد النائية للتبشير. ثم جد في إصلاح أمور الكنيسة. فعقد سنة (786م) مجمعاً وضع في اثنائه باتفاق الآباء ثمانية وتسعين قانوناً في الفرائض والأحكام. وكان محبوباً لدى الخلفاء العباسيين الذين عاش في أيامهم وهم: المهدي والهادي والرشيد والأمين والمأمون. وشهدوا له بالعلم والحذق وفنون الجدال. وهو أول من كتب باللغة العربية وله عدة مصنفات منها: كتاب في علم الهيئة والنجوم وكتاب في الأحكام الكنسية ورسائل كثيرة دينية تنبئ عن رسوخ قدمه في الدروس الفلسفية[1].

هذا وأخذ عدد سكان اربل النصارى يقل أو يزداد تبعاً للاعتداءات المتواترة والأحوال السياسية[2] إذ كانت هذه المدينة في جميع الأدوار التي مرت بها ميداناً لحروب عديدة بين أمم مختلفة. ولما دخلها التتار (سنة 628هـ ـ 1230م) نهبوا بيوتها وخربوا قراها وقتلوا مَن ظفروا به من أهلها[3]. ثم توالت عليها المصائب حتى انقطعت أخبار النصارى عنها. وذكر الأخباريون إن مار يشوعياب بن مقدم كان مطراناً على اربل سنة (1440م)[4]. ووافى في التقويم القديم المتقدم ذكره في اواخر البحث السابق ما يأتي: «كان في اربل سنة (1600م) أسقف واحد

---

(1) ذخيرة الأذهان 1: 341 ـ 345. والتاريخ الكنسي 2: 165. والمجدل ص64.

(2) تاريخ نصارى العراق 111 ـ 114. وذخيرة الأذهان 2: 20.

(3) أطلب مجلة لغة العرب 8: 603.

(4) ذخيرة الأذهان 2: 80 و168.

اسمه مار إسرائيل جنسه من الجزيرة. وكان تحت يده كهنة وشمامسة قدر الكفاية. وكان له كنيستان الأولى على اسم الشهداء والثانية على اسم مار اسحق. وكان عدد المؤمنين ألفاً ومائتي بيت نساطرة في زمن البطريك متى[1]. أما اليوم ففيها أكثر من ألف نصراني.

مدارس نصارى بلد (اسكي موصل)

كانت مدينة بلد تقع على ضفة دجلة اليمنى على نحو أربعين كيلومتراً من شمال غربي مدينة الموصل. وتسمى بقاياها اليوم اسكي موصل أي الموصل القديمة. وهي من المدن العراقية القديمة يرتقي عهدها إلى ما قبل الألف الرابعق.م.

إن اسم بلد القديم (بلط) وأما اسمها الفارسي فشهراباذ[2]. وحرف اسم (بلط) في العصر الإسلامي فعرفت باسم (بلد) التي كانت آنئذ عامرة. قال ياقوت: «إن بلد وربما قيل لها بلط بالطاء... وهي بلدة قديمة على دجلة فوق الموصل بينهما سبعة فراسخ وبينها وبين نصيبين ثلاثة وعشرون فرسخاً»[3].

كانت لبلد شهرة واسعة لا تقل عن شهرة بقية المدن العراقية العريقة في القدم. وقد انتشرت النصرانية في ربوعها منذ القرون الميلادية الأولى وتقدمت تقدماً مطرداً. ومن اساقفتها المشهورين: يزجرد الذي حضر المجمع الثامن سنة (554م) في أيام الجاثليق يوسف (المتوفى سنة

---

(1) تقويم قديم ص18.

(2) مجلة العراق للآثار العراقية القديمة «بغداد 1938» 5: 134 و145 ـ 146.

(3) معجم البلدان 1: 715.

567م)[1]. وقرياقوس وايليا في عهد الجاثليق ماري بن طوبى (المتوفى سنة 1000م)[2].

ونبغ من ابناء بلد: البطريرك اثناسيوس البلدي (المتوفى سنة 686م). فقد قرأ على ساويرا سابوخت في دير قنسرين[3] ونقل إلى الآرمية مدخل فلسفة فرفوريوس وكتاباً فلسفياً آخر وهما محفوظان في مكاتب الفاتيكان وباريس وبرلين ولندن كما نقل مؤلفات غريغوريوس النازينزي. وله رسالة في معاطاة النصارى والإسلام وصلوات خشوعية تعرب عن تعمقه في التقوى[4].

والجاثليق عمانوئيل (المتوفى سنة 960م) وهو من رهبان عمر ابا (الانبا) يوسف[5]. وكان واعظاً بليغاً ومترجماً ماهراً. وقد سأله الخليفة يوماً: كيف يمكن حب العدو في شرع النصارى. فان فعل الخير الخارجي يصح وأما الحب القلبي فلا يصح. والأمر بما لا يصح لا يسوغ في الشرع.

فاجاب عمانوئيل: «إذا ساغ للإنسان ان يترك ما يبغض الناس زال البغض. ومن ترك الدنيا التي عليها التجاذب ولسببها يبغض الناس بعضهم بعضاً فلا يبقى من موجب يدعو إلى بغض الأعداء. فأعجب

---

(1) تاريخ كلدو وآثور 2: 193.

(2) الديورة عد 102 و103 و116. والمجدل ص95 و124.

(3) كان ساويرا سابوخت أحد المدرسين في مدرسة دير قنسرين الواقع في جوار حلب. وقد بلغ في القرون الوسطى شأواً بعيداً في العلوم العقلية.

(4) تاريخ كلدو وآثور 2: 304. وتاريخ الموصل 2: 21.

La Littérature Syriaque. (P. 378).

(5) كان عمر أبا «الانبا» يوسف فوق الموصل وموضعه «حسن مغمور بالزيتون والسرو والاس والرياحين مغروس الربى بالنرجس» راجع «مسالك الابصار ص302».

الخليفة استحضار هذا الجواب[1]. والجاثليق يشوعياب الخامس (المتوفى سنة 1175م). فقد دبر رعاياه تدبيراً حسناً وسعى لاصلاح شؤونهم وأقام زهاء أربعين أسقفاً وتسعة مطارين[2].

كانت مدارس بلد متقدمة في العلوم واشهرها المدرسة التي أقامها أسقفها مرقس خارج المدينة. وقد جمع في صفوفها بعض تلاميذ كلية نصيبين الذين تركوها في عهد الجاثليق سبريشوع الأول (596 ـ 604م) لأنهم لم ينقادوا إلى أراء حنانا (المتوفى سنة 610م)[3]. وكان عددهم يومئذ في نصيبين زهاء ثلاثمائة تلميذ. ومدرسة دير مار جرجيس الواقعة في جوار المدينة نفسها. أما مؤسس هذا الدير فيغلب أن يكون الربان جرجيس تلميذ الربان برعيتا[4]. في اواسط القرن السابع الميلادي[5]. وقد ذكره الحموي قائلاً: «دير مار جرجيس فوق بلد بينها وبين جزيرة ابن عمر على ثلاثة فراسخ وازيد من بلد على جبل عال يبصره المتأمل من فراسخ كثيرة. وعلى بابه شجرة لا يدري ما هي. ثمرها شبه اللوز طيب الطعام. وبها زرازير كثيرة لا تفارقه شتاء وصيفاً. ولا يقدر أحد من الصيادين على صيد شيء من طيره نهاراً. وأما الليل ففي جبله أفاعي لا يستطيع أحد أن

---

(1) المجدل ص84. وذخيرة الأذهان 1: 425 ـ 426. وأخبار فطاركة كرسي المشرق ص94.

(2) ذخيرة الأذهان 1: 945. والمجدل ص106.

(3) كانت أراء حنانا كاثوليكية. وهو من حدياب وتعلم في مدرسة نصيبين وصار رئيساً عليها. وقرأ على الملفان موسى ووضع كتباً عديدة حرمها غريغور مطران نصيبين «طالع عن الحنانيين تاريخ كلدو وآثور 2: 215 و226 ـ 282. والتاريخ السعردي 2: 187 و190 ـ 193 و208 ـ 210».

(4) برعيتا كلمة آرمية مركبة من «بر وعيتا» أي ابن البيعة.

(5) المجدل ص49. ومجلة النجم 1: 517.

يسير فيه ليلاً من اجلها»[1]. وما زالت أثار هذا الدير وغيره باقية. فقد جاء في مذكرات دومينيكو لانزا التي سطرها في خلال القرن الثامن عشر للميلاد أيام مكوثه في الموصل: «كانت المدينة (اسكي موصل) كبيرة ويشاهد حتى يومنا هذا آثار اسوار كانت تحيط بها وآثار دور مندرسة. رأيت في بعضها صلباناً تحملني على الظن أنها من آثار ديرة وكنائس[2].

كانت مدارس بلد واسعة الأرجاء يقصدها الطلاب للتضلع من علوم الدين العالية. وقد علم في صفوفها المدرسون العظام والأساتذة الافذاذ منهم: الملفان مسكينا عربايا وهو أحد تلاميذ حنانا المار ذكره. وقد وضع سفراً يؤيد تعاليم أستاذه غير إن الراهب حنا نيشوع رد عليه[3]. ومار ابيملك المفسر القديس الذي كان اصله من قردو. وبعدما درس مدة في بلد أجبره إيليا مطران نصيبين ان يدرس في مدرسة بيث سهدي[4] التي بناها الشماس اليشع قرب باب هذه المدينة. فشاد ابيملك ديراً في تلك المدرسة علم فيه المفسر بولس أحد تلاميذ كلية نصيبين الذين تركوها في أيام الجاثليق سبريشوع الأول (596 ـ 604م). ومن كتاباته أناشيد تتلى في اثناء الصلوات القانونية[5].

ومنهم الجاثليق يشوعياب الثاني المعروف بالجدالي[6] (المتوفى سنة 647م) وهو من الجثالقة العظام ومن المياسيين المدربين. وقد نفاه كسرى

---

(1) معجم البلدان 2: 698.

(2) الموصل في القرن الثامن عشر لدومينيكو لانزا تعرب القس روفائيل بيداويد «الموصل 1953». ص23.

(3) تاريخ كلدو وآثور 2: 283، والتاريخ السعردي 2: 215.

(4) بيث سهدي كلمتان آرميتان بمعنى دار الشهداء، وسهدي مفردها سهدا أي الشهيد.

(5) تاريخ كلدو وآثور 2: 229 و262 و280. والديورة عدد 41، والتاريخ السعردي 2: 106.

(6) الجدالي نسبة إلى جدال إحدى قرى الموصل.

يوم كان أسقفاً على بلد ولبث منفياً حتى ملك شيرويه سنة (628م). ولما ملكت بوران أخت شيرويه أرسلته سفيراً إلى هرقل ملك الروم لعقد صلح بين المملكتين فنجح في مهنته. وكان يسكن الجاثليق يشوعياب المدائن أيام فتح العرب أبوابها فأبدى تبصراً في الأمور وساس رعيته بروية على الرغم من تقلبات المملكة الساسانية. قال مؤلف التاريخ السعردي: «وكان ايشوعياب الجاثليق قد انفذ هدايا إلى النبي ﷺ. وفي جملتها ألف استار فضة مع جبرائيل أسقف ميشان. وكان فاضلاً عالماً. وكاتبه وسأله الإحسان إلى النصارى. ووصل جبرائيل الأسقف إلى يثرب وقد توفي. فأوصل ما كان معه إلى أبي بكر وعرفه ما الناس عليه من ملك الفرس وما يلحق النصارى من جند العرب وأن النصارى بالمشرق يؤدون الجزية إلى ملوك الفرس وأنهم يخالفون الروم. فسمع قوله وقبل ما كان معه وضمن له ما يحبه وعاد إلى الجاثليق مسروراً»[1]. وأتى في كتاب أخبار فطاركة كرسي المشرق: «وبره صاحب الشريعة عليه السلام ببر فيه عدة من الإبل وثياب عدنية»[2]. وحظي برؤية عمر بن الخطاب فاحسن إليه واكرمه. واهتم بترقية العلوم وفتح المدارس المغلقة وارسال المبشرين إلى البلاد النائية[3]. وحبر كتباً عديدة منقحة العبارة منها: تاريخ الديرة وشروح في المزامير ورسائل تقوية وسير القديسين وكتاب في الألفاظ المترادفة وكتاب الرؤوس في توبيخ المخالفين على المذهب وصلوات مختلفة المعنى تدل على تضلعه من المعارف الدينية[4].

---

(1) التاريخ السعردي 2: 298 ـ 299.

(2) أخبار فطاركة كرسي المشرق ص62.

(3) انظر ص54.

(4) تاريخ كلدو وآثور 2: 285. وتاريخ الموصل 2: 20 ـ 21. والمجدل ص54.وذخيرة الأذهان 1: 249 ـ 252. والتاريخ السعردي 2: 224 ـ 241. وتاريخ نصارى العراق 57 ـ 58 و63. وخلاصة تاريخية ص167.

ويبدو لنا ان اشهر من تفقه في مدارس بلد التلاميذ الذين تركوا كلية نصيبين وألتحقوا بالمدرسة التي أقام دعائمها الأسقف مرقس أمثال الجاثليق يشوعياب الجدالي وبولس المفسر في دير ابيملك المار ذكرهما والأسقف برحذبشبا عربايا الجاثليق يشوعياب الثالث والملفان ميخائيل باذوقا:

كان برحذبشبا عربايا أسقفاً على حلوان وحضر مجمع الجاثليق غريغور سنة(605م). وقد وضع عدة مؤلفات منها: كتاب الكنوز في ثلاثة أجزاء وكتاب الجدال ضد كل الشيع وكتاب التاريخ الكنسي وتفسير المزامير وانجيل مرقس ومقالة في تأسيس المدارس طبعها المطران ادي شير (المتوفى سنة 1915م) في باريس سنة (1907م)[1].

وكان الجاثليق يشوعياب الثالث المعروف بالحدياني أو الحزي (المتوفى سنة 660م) غيوراً مقداماً على الأمور الخطيرة لا تصده عن اجراء مقاصده الصعوبات هذا فضلاً عن غزارة علمه في الحقائق الدينية وحذاقته في أمور السياسة إذ نال عزاً والتفاتاً من الخلفاء وامراء العرب. واختير أسقفاً لنينوى ثم رقي إلى مطرانية حزة أو اربل ولذلك يعرف بالحزي. وقد رافق الجاثليق يشوعياب الجدالي في اثناء سفره إلى هرقل ملك الروم. وكان هرقل يومئذ في حلب فأكرم مثواهما وقضى حاجتهما وخلع عليهما. وقد جاوزت مصنفاته العشرين مجلداً لخصت فيها مسائل الدين ابلغ تلخيص. ومن اعظم مآثره ترتيبه الصلوات القانونية التي لا يزال يتلوها الكلدان والنساطرة في كنائسهم[2].

---

(1) ذخيرة الأذهان 1: 261. وتاريخ كلدو وآثور 2: 287.

(2) تاريخ نصارى العراق ص64، وذخيرة الأذهان 1: 262 ـ 265. وتاريخ كلدو وآثور 2: 285.

واما الملفان ميخائيل باذوقا فكان من عين دولبي في بيث نوهدرا. وهو من العلماء الذين يشار إليهم بالبنان. وقد حبر عدة اسفار منها: تفسير الكتاب المقدس في ثلاثة مجلدات وتقسيمات وتحديدات فلسفية مع شرحها وكتاب الجدال مع الهراطقة ومقال نفيس في تذكار مريم البتول[1].

هذا وقل شأن مدارس بلد في مطاوي القرن الثامن الميلادي. أما بلد فكانت في سنة (1222م) من أسقفيات نصيبين[2]. وقد بقيت النصرانية منتشرة في اطرافها إلى أيام خرابها الذي تم في غضون المائة الرابعة عشرة للميلاد[3].

مدارس نصرانية أخرى

وفي الكتب التاريخية وبين صفحاتها العديدة أسماء مدارس نصرانية أخرى ذكرها المؤرخون والبلدنيون. وقد تقدمت قبل الإسلام تقدماً عظيماً ونبه بين جدرانها أدباء معروفون بالعلم والفضيلة. ومن اشهر تلك المدارس:

مدرسة الرستاق:

اقيمت أسس هذه المدرسة في مرج الموصل بين الرياض اليانعة والبساتين النضرة وقد ظهر فيها النساك القديسون والعلماء المشهورون منهم:

الراهب يعقوب اللاشومي مؤسس دير بيث عابي وقد تكلمنا عنه في الفصول السابقة.

---

(1) تاريخ كلدو وآثور 2: 286.

(2) ذخيرة الأذهان 1: 506.

(3) اللؤلؤ المنثور ص505.

والزاهد سركيس صارع الجبابرة (المئة السادسة للميلاد). فكان اصله من باجرمي وعرف بسجاياه العالية وأخلاقه السامية. وبعد أن انهى دروسه ترهب في دير بيث عابي. وحبر سفراً جليلاً في مناقب القديسين الذين عاشوا في وطنه. وكتب غيره في النبوءة[1].

والقديس مار كيوركيس الذي استشهد في سنة (615م). فقد ولد مجوسياً في ناحية حيشتر في أرض بابل وكان أبوه مرزباناً في نصيبين فسافر إلى الحيرة حيث عمّده أسقفها شمعون بن جابر ودخل دير مار إبراهيم الكبير. فوشى به الطبيب جبرائيل لدى الملك كسرى الثاني (المتوفى سنة 628م) فامر بقتله. فشاد مكاتب في بابل وكتب عن الحياة النسكية ووضع كتاباً ضد الهراطقة[2].

مدرسة ايث آلاها:

تقع هذه المدرسة في جوار دهوك قرب أو داخل دير باسم مار ايث آلاها[3] (أواخر القرن الرابع للميلاد)[4]. وقد تثقف فيها سهدونا الهلموني[5] ويدعى مرطوريس (النصف الأول من المائة السابعة). فانخرط في سلك رهبان دير بيث عابي ثم سافر إلى كلية نصيبين حيث نبغ في العلوم الدينية. وصار أسقفاً على ماحوز اريون[6] ورافق الجاثليق يشوعياب الجدالي في سفارته إلى الملك هرقل سنة (630م)

---

(1) تاريخ كلدو وآثور 2: 290. وتاريخ الموصل 2: 20.
(2) تاريخ كلدو وآثور 2: 232. والديورة عدد 57.
(3) ايث الاها: كلمة آرمية مركبة معناها الله موجود.
(4) مجلة النجم 1: 580.
(5) الهلموني نسبة إلى هلمون: قرية من قرى بيث نوهدرا.
(6) ماحوز اريون أو ماحوز ارنون: مدينة على شاطئ الزاب الصغير ويسمى إلى اليوم التل الذي كانت مبنية عليه ماحوز «تاريخ كلدو وآثور: توطئة ص13».

فكان لين الجانب غزير الفضل وافر الأدب. وقد صنف عدة كتب ورسائل. ومن أحسن كتبه سفره الذي يبحث عن الحياة النسكية بعنوان (كمال السيرة) طبعه الأب بيجان سنة (1902م) تتجلى في سطوره التعاليم الكاثوليكية. واما رسائله فتبحث عن مناقب الرهبان فتعد كنز حكمة للمراجعين[1].

مدرسة حر بغلال:

أسست دعائم هذه المدرسة على الزاب الصغير في شرقي كركوك وأشهر من نبغ في صفوفها الراهب مار يعقوب الملقب بحزايا أي البصير. فكان من باجرمي وغب ان تفقه في هذه المدرسة ترهب في دير بيث عابي. وقد دعاه الجاثليق حنا نيشوع الاعرج (المتوفى سنة 700م) ليقيمه أسقفاً على نصيبين فابى واختلى في مغارة في جوار بانهدرا. ثم تولى رئاسة دير مار يشوعياب[2]. وكان تحت امرته ثلاثمائة راهب[3].

مدرسة بهبقاذ:

كانت بهبقاذ من نواحي ارمايي. وقد تضلع من العلوم في مدرستها القديس مار إبراهيم. ودخل كلية نصيبين حيث علم فيها مدة مديدة. ثم تتلمذ لمار إبراهيم الكسكري أبي الرهبان وأمره ان يدرس في اسكول بيث سهدي[4].

مدرسة بافرايي:

شيدت مدرسة بافرايي في قرية من بلد معلثا وحانيثا[5]. وقد تعلم فيها

---

(1) تاريخ كلدو وآثور 2: 283 ـ 284. تاريخ الموصل 2: 21. والديورة عدد 128.

(2) يقع دير مار يشوعياب قرب دير الشهيد ايث آلاها وآثاره باقية إلى يومنا في قرية مار يعقوب.

(3) ذخيرة الأذهان 1: 253. والديورة عدد 140. وتاريخ كلدو وآثور 2: 263.

(4) الديورة عدد 42.

(5) معلثا أو معلثايا: هي اليوم قرية صغيرة في جوار دهوك. أما حانيثا أو الحانية فكانت

الراهب الفاضل مار قرداغ وتتلمذ لمار إبراهيم الكسكري الكبير وقرأ عليه آداب الحياة النسكية ثم انفرد مدة أربعين عاماً متعبداً زاهداً في ملاذ هذه الدنيا[1].

مدرسة اوانا:

اقيمت هذه المدرسة في قرية اوانا من أعمال طيرهان. فدرس فيها مار سبريشوع مؤسس دير بيث قوقا[2]. وصار تلميذاً للناسك هرمزد الذي شاهده في دير يشوعسيران ان الواقع على شاطئ الزاب الكبير. ووهبه مغارة مكث فيها مدة اثنتي عشرة سنة فاجتمع إليه زهاه خمسين راهباً. وقد زاره الجاثليق يشوعياب الثالث المعروف بالحديابي أو الحزي (المتوفى سنة 660م) أيام كان مطراناً[3].

مدرسة نحشيروان:

بنيت دعائم هذه المدرسة في قرية نحشيروان[4] وقد تعلم فيها القديس الراهب حنا نيشوع وانخرط في سلك رهبان دير سبريشوع أي دير بيث قوقا وصار رئيساً عليه[5].

متصلة بأبرشية معلثا وأنضمت مراراً إليها وامتدت إلى أطراف العمادية «تاريخ كلدو وآثور: توطئة 14 ـ 15».

(1) الديورة عدد 45.

(2) يبتعد دير بيث قوقا عن غربي اربل زهاء سبع ساعات ولا تزال آثاره باقية. وعرف أيضاً بدير سبريشوع.

(3) الديورة عدد 59.

(4) نحشيروان: قرية من قرى بلد حدياب.

(5) الديورة عدد 62، وتاريخ الموصل 2: 19.

مدرسة رادان:

قرأ في مدرسة رادان[1] مار سبريشوع مطران باجرمي وقد أقامه الجاثليق سبريشوع (المتوفى سنة 604م) مدرساً في ديره الذي شاده في كرخ جدان. ثم أقامه الجاثليق مار امه (المتوفى سنة 650م) مطراناً على باجرمي. وبنى ديراً كبيراً في جبل شعران في المحل المسمى بوثا دماحوزا أي حدقة ماحوزا[2].

مدرسة بيث شاهاق:

قد أقام أسس مدرسة بيث شاهاق[3] الربان سبروي (اواسط المائة السابعة للميلاد). فكان من العلماء اللغويين الذين يذكرهم التاريخ بالتعظيم. وقد وضع محاورة في مجلدين وثلاث مقالات تعرب كلها عن تمهره في العلوم الدينية. واتسعت على ممر الزمن ساحات هذه المدرسة فحوت نيفاً وثلاثمائة تلميذ درسهم أساتذة نوابغ[4].

وهناك عدد عديد من المدارس ضربنا صفحاً عن ذكرها. وقد بناها الرهبان القديسون والجثالقة العظام والاساقفة الاعلام امثال الراهب مار ميخا والراهب مار يشوعزخا والأستاذ إبراهيم التنفري وغيرهم[5]. فهذه المدارس وتلك المعاهد تؤيد العلوم في ربوعنا العراقية وانتشار المعارف في ارجائها.

---

(1) رادان: بلدة من أعمال بيث ارمايي.

(2) الديورة عدد 93.

(3) بيث شاهاق قرية في كورة نينوى.

(4) اللؤلؤ المنثور ص287.

(5) راجع ذخيرة الأذهان 1: 67 و182 و258. والديورة عدد 43 و47. وتاريخ الموصل 2: 20. وخلاصة تاريخية ص156. والادب السرياني ص161.

الفصل التاسع

مدارس اليهود

مدارس اليهود

بعد سبي بابل[1] في حدود سنة (577ق.م) استقر اليهود في العراق. فشادوا في كل كنيس مكتباً ليتعلم ابناؤهم مبادئ الدين والقراءة والكتابة. ثم جدوا في طلب العلم فاخذوا يقيمون المدارس العالية والكليات الدينية. وقد نبغ فيها العلماء الكثيرون والأحبار العديدون. ومن اكبر المدن العراقية التي اشتهرت بالآداب العبرية والتلمود البابلي: مدينة نهر دعة Naharadéa وفومبديثة Pumbeditha وسورا Sora. ويبدو للمؤرخ ان تسمية نهر دعة[2] كانت تطلق على البقعة الواقعة فيها المدن المذكورة وعلى غيرها من المدن التي أشار إليها التلمود[3].

والتلمود نوعان: التلمود الفلسطيني أو التلمود الأورشليمي والتلمود البابلي ولكل من التلمودين طابع خاص به. فيغلب على التلمود الفلسطيني طابع التمسك بالرواية والحديث. ويظهر على التلمود البابلي الطابع العراقي الحر وفيه تعمق في التفكير وتوسع في الأحكام

---

(1) تم سبي بابل في عهد الملك بختنصر «604 ـ 562 ق.م» وقد تقلد يومئذ رئاسة شؤون اليهود في العراق يكنية ملك يهوذا ودعي «ريش جالوتا» أي رئيس الجالية.

(2) من المرجح ان كلمة نهر دعة مؤلفة من كلمتين عبريتين مفادهما نهر الحكمة أو نور الحكمة.

(3) نزهة المشتاق ص85. ورحلة بنيامين تعريب عزرا حداد «بغداد 1945» ص129.
Graetz (H): History of the Jews. (London, 1891. Vol. II; P. 510-512).

وقد اشتغل به الأحبار حتى اكتسب صبغته النهائية في أوائل القرن السادس للميلاد[1].

والتلمود يتألف من المشنة (الموضوع) والجمارة (التفسير): فالمشنة مجموع تقاليد اليهود المختلفة وبعض الآيات من العهد القديم. وقد اعطيت النبي موسى حين كان على الجبل. ثم تداولها هرون واليعازر ويشوع وسلموها للأنبياء وانتقلت من الأنبياء إلى أعضاء المجمع العظيم وخلفائهم. أما الجمارة فمجموع المناظرات والتعاليم والتفاسير التي جرت في المدارس العالية بعد انتهاء المشنة[2].

مدرسة نهر دعة:

كان موقع نهر دعة في جوار عانة. وقد سكنها اليهود واتخذوها مركزاً يجمعون فيها الهدايا لهيكل اورشليم ومدارسها حتى اصبحت على تمادي الزمن من مدن التلمود المهمة. واشتهرت مدرستها الدينية ونالت صيتاً بعيداً منذ القرن الثاني الميلادي. وعرف من رؤسائها الحبر صموئيل الفلكي (المتوفى سنة 257م) الذي أسس مدرسة فومبديثة الآتي ذكرها. وقد سعى سعياً مشكوراً لتوطيد دعائم الصداقة بين الفرس واليهود. غير أن هذه المدرسة لم تعمر طويلاً إذ تهدمت أيام خراب هذه المدينة سنة (259م)[3].

سارت مدرسة نهر دعة إذ ذاك على نظام الجامعات فكان نظاماً ديمقراطياً مؤسساً على قوانين تفيد التلاميذ والشعب معاً. ومن أهم

---

(1) تاريخ العرب قبل الإسلام ص23 ـ 24. القراءون الربانون لمراد فرج «مصر 1918» ص36 ـ 41.

(2) قاموس الكتاب المقدس تعريب الدكتور جورج بوسث «بيروت 1894» 1: 290.

(3) نزهة المشتاق ص70 و91.

قوانينها أن يعقد رؤساؤها اجتماعين اثنين في غضون السنة الواحدة وذلك في شهر ايلول عند انقضاء الصيف وفي شهر آذار لدى انتهاء الشتاء. وكان يحضرهما من كل صقع. العلماء والأساتذة والتلاميذ على اختلاف اعمارهم وتباين درجاتهم العلمية. فيطرح التلاميذ الاسئلة على بساط المناقشة فيشتد الجدال بين الاعضاء كافة. ثم يفتون فيوقع على تلك الفتاوى بعد البث فيها (ريش كله) أي رئيس الاجتماع العام. لقد كانت تلك الاجتماعات مداولات خصوصية للشريعة أو مجادلات دينية تفيد الشعب والدارسين.

مدرسة أو كلية فومبديثة:

كانت مدينة فومبديثة ومعناها فم البداة قرب الانبار. وقد شاد في انحائها الحبر صموئيل الفلكي المار ذكره مدرستها التي تعد من اكبر مدارس التلمود في العراق. ثم تقدمت فشاركت مدرسة سورا في تدبير شؤون اليهود الدينية هذا فضلاً عن ان مؤسسها كان متضلعاً من الشريعة تضلعاً عظيماً وبذل اقصى جهده في سبيل نجاحها. وفي القرن الرابع الميلادي ترأسها الحبر يوسف بن شيجا وقد نسبت إليه الاقتباسات الواردة في التلمود عن تراجم الانبياء[1].

وممن تقلد إدارة كلية فومبديثة مار رابة (المئة الرابعة للميلاد) والغاؤون[2] دوداي بن نحمن (المئة السابعة للميلاد) والغاؤون

---

(1) نزهة المشتاق 93. ورحلة بنيامين ص198.

(2) الغاؤون: كلمة عبرية معناها «النيافة أو العزة». وقد اتخذها اليهود في العصور المتأخرة بمعنى «الرئيس أو الزعيم» وأطلقوها على رؤساء مدارسهم الدينية الكبيرة وعلى الخصوص رؤساء المدرستين «فومبديثة وسورا» منذ أوائل القرن السابع إلى القرن الحادي عشر للميلاد.

سيماح بن بتلوا وقد ألف معجم التلمود وهو مفقود اليوم. والغاؤون شريرا بن حنينة (المتوفى سنة 1000م) الذي حبر سفراً ثميناً على طريقة السؤال والجواب واتخذ موضوعه سؤالاً سيره إليه سكان مدينة القيروان. ويعتبر هذا المؤلف من انفس المصنفات اليهودية لما تضمنه من الأمور التاريخية منذ نشأة التقليد بين اليهود إلى أيامه.

ومن مديري مدرسة فومبديثة هاي بن شريرا المتقدم ذكره (المتوفى سنة 1034م) وهو آخر رؤسائها وقد قرأ على أبيه ولما ترعرع اقتصّ آثاره وصنف كتباً جليلة في شريعة التلمود وتكلم عن العادات والتقاليد بدون ان يمس الشريعة البتة. وكان متضلعاً من الفقه الإسلامي والطريقة الجدلية ووضع باللغة العربية معجماً سماه الحاوي.

ومن انبغ تلاميذ هذه الكلية آحي صبحا (القرن الثامن للميلاد). فكان من أعظم العلماء التلموديين وقد حبر كتاباً نفيساً وهو مجموعة أناشيد عن الشريعة اليهودية ومحاسن الاخلاق وشاع تدريسها في المدارس وتناقلتها أفواه العامة لما حوته من المعاني الرقيقة.

واشتهرت كلية فومبديثة بوفودها الأربعة الذين توجهوا في نحو سنة (970م) إلى شمالي افريقية واوربة وهم شمريا بن الحنان وهو شيل أبو حنانئيل وموسى وابنه حنوك. وقد قبض عليهم فافتداهم قومهم. ويظن على الغالب إن شمريا لم يرجع إلى العراق بل بقي في الفسطاط فكاتبه كل من الغاؤون شريرا وابنه هاي[1].

مدرسة أو كلية سورا:

كانت مدينة سورا في جوار الحلة وقد بنيت على شط النيل وكان

(1) نزهة المشتاق ص93 و97 و110 و127 ـ 128. ورحلة بنيامين ص140 و147 و191 و198.

يعرف قديماً بنهر سورا وسماه ابن سرابيون الصراة الأكبر وأعاد حفره الحجاج بن يوسف الثقفي[1].

نشأت في سورا جماعات كثيرة من اليهود وكانت في سالف عهدها مقر رأس الجالوت وقد أقام دعائم جامعتها سنة (219م) الحبر ابا اريخا (المتوفى سنة 247م)[2]. وتحمل اعباء إدارتها فصار فيها أكثر من ألف تلميذ ينفق على عدد منهم المبالغ من ثروته الخاصة.

كانت مدرسة سورا اعلى مقاماً من مدرسة فومبديثة وكان لرئيسها حق الافضلية في المرتبة الدينية وفي انتخاب رئيس الجالية وقد انجبت عدداً عديداً من العلماء والأحبار وكانت فتواهم ذات منزلة عظيمة عند الجاليات اليهودية في الشرق والغرب. ومن رؤسائها المعروفين الذين دبروا شؤونها وساسوا أمورها ناحونا (القرن الثالث الميلادي) خليفة مؤسسها الحبر أبا اريخا. والحبر آشي (352 ـ 427م) الذي في عهده انتهت خطط التلمود البابلي. ويهوداي البصير بن نحمن (القرن السابع الميلادي) والعلّامة سعيد بن يوسف الفيومي (المتوفى سنة 944م). وكان آخر مديريها الغاؤون صموئيل بن حفني (المتوفى سنة 1034م).

ظلت مدرسة سورا وفومبديثة تدبر شؤون اليهود الدينية ولا سيما في المدة التي سبقت عهد التلمود البابلي في أيام الحبر ابن نحماني (المتوفى نحو سنة 330م) وقد لقب بقلاع الجبال للباقته اللسانية وقد جادل مراراً الحبر يوسف بن هاي فكانت مجادلاتهما من أهم المباحث الدقيقة في التلمود.

---

(1) رحلة بنيامين ص146.

(2) History of the Jews. Vol. II; P. 516-517.

وذاعت شهرة مدرسة سورا وفومبديثة في أقطار المسكونة ونالتا شأناً بعيداً في آداب اللغة العبرية واضحى رؤساؤها مدة مديدة المرجع في التفاسير الدينية والمعاملات الدنيوية وعلى الخصوص أيام الأساتذة الشارحين الذين كانوا يعرفون بالسيورائيم الذين استمرّ نشاطهم العلمي في سورا وفومبديثة زهاء خمسين عاماً (500 ـ 550م). وكان أهم أعمالهم التعليق على التلمود وتنظيم أبوابه وتنسيق فصوله على الشكل المعروف اليوم[1].

هذه اشهر مدارس العراق اليهودية وهؤلاء اشهر من دبر شؤونها العلمية وقد خدموا المعارف الدينية ونشروها بين ابناء طائفتهم زهاء ثمانية قرون حافلة بالمآثر الحميدة والأعمال المجيدة.

---

(1) نزهة المشتاق ص91 ـ 93. ورحلة بنيامين ص146 ـ 147 و191 و197 ـ 198 و200.

الفهارس

فهرس الأعلام

فهرس جغرافية الأقاليم والبلدان والقرى والمحال المعرفة

(ت)

(ج)

(ح)

فهرس البيع والديارات والكنائس

فهرس الاسكولات والكتاتيب والكليات والمجامع والمدارس

فهرس الألفاظ الدخيلة المشروحة

فهرس أسماء الكتب والمجلات باللغات الشرقية

1 ـ أثر قديم في العراق: دير الربان هرمزد لكوركيس عواد (الموصل 1934).

2 ـ أخبار الحكماء: لجمال الدين القفطي (مصر 1326هـ).

3 ـ أخبار فطاركة كرسي المشرق: لماري بن سليمان (رومة 1899).

4 ـ أشهر شهداء المشرق: للمطران ادي شير (الموصل 1900).

5 ـ أصدق ما كان عن تاريخ لبنان: للفيكنت فيليب دي طرازي (بيروت 1948).

6 ـ الاعلاق النفيسة: لابن رستة (ليدن 1891).

7 ـ الأغاني: لأبي الفرج الأصبهاني (طبعة ساسي 1322 ـ 1323).

8 ـ التاريخ السعردي: لمؤلف مجهول، نشره المطران ادي شير (باريس 1907).

9 ـ التاريخ الكنسي «بالسريانية»: لابن العبري (لوفان 1872 ـ 1877).

10 ـ الحوادث الجامعة: لابن الفوطي (بغداد 1351).

11 ـ الحيرة: المدينة والمملكة العربية: لمعالي يوسف غنيمة (بغداد 1936).

12 ـ الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة: للبطريرك اغناطيوس افرام الأول برصوم (حمص 1940).
13 ـ الديارات: للشابشتي، نشره كور كيس عواد (بغداد 1951).
14 ـ الديورة في مملكتي الفرس والعرب: ليشو عدناح، تعريب المطران بولس شيخو (الموصل 1939).
15 ـ الرافدان: لسيتون لويد، تعريب طه باقر وبشير فرنسيس (بغداد 1943).
16 ـ السلاسل التاريخية: لفيكنت فيليب دي طرازي (بيروت 1910).
17 ـ الطبقات الكبيرة: لابن سعد (ليدن 1321هـ).
18 ـ العراق قديماً وحديثاً: لعبد الرزاق الحسني (صيدا 1361هـ).
19 ـ العرب قبل الإسلام: لجرجي زيدان (مصر 1922).
20 ـ العصور القديمة: لبراستد، تعريب داود قربان (بيروت 1926).
21 ـ الفلسفة في الشرق: لبول ماسون أورسيل، تعريب محمد يوسف موسى (مصر 1945).
22 ـ الكتاب المقدس (طبعة بيروت للآباء اليسوعيين).
23 ـ القراءون الربانيون: لمراد فرج (مصر 1918).
24 ـ الفهرست: لابن النديم (مصر 1348هـ).
25 ـ اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية: للبطريرك اغناطيوس افرام الأول برصوم (حمص 1943).
26 ـ اللمعة الشهية: للمطران اقليميس يوسف داود (الموصل 1896).
27 ـ المجدل: لعمرو بن متى (رومة 1896).
28 ـ المخصص: لابن سيده (مصر 1320هـ).
29 ـ المزهر: للسيوطي (مصر 1320هـ).

30 ـ المعارف: لابن قتيبة (مصر 1353هـ).
31 ـ المسالك والممالك: لابن خرداذبة (ليدن 1889*).
32 ـ الموصل في القرن الثامن عشر: لدومينيكو لانزا، تعريب الأب روفائيل بيداويد (الموصل 1953).
33 ـ النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية: للأب لويس شيخو اليسوعي (بيروت 1912 ـ 1919).
34 ـ بلدان الخلافة الشرقية: لغي لسترنج، تعريب بشير فرنسيس وكوركيس عواد (بغداد 1954).
35 ـ تاج العروس «التاج»: لمحمد مرتضى الزبيدي (مصر 1286هـ).
36 ـ تاريخ ابن خلدون (مصر 1274هـ).
37 ـ تاريخ الأدب السرياني: للدكتور مراد كامل والدكتور محمد حمدي البكري (مصر 1949).
38 ـ تاريخ الأدب الفارسي: للدكتور رضا زاده شفق، تعريب موسى هنداوي (بيروت 1947).
39 ـ تاريخ الأمم والملوك: للطبري (الطبعة المصرية والغربية).
40 ـ تاريخ التمدن الإسلامي: لجرجي زيدان (مصر 1914 ـ 1920).
41 ـ تاريخ الدول الفارسية في العراق: لعلي ظريف الأعظمي (بغداد 1927).
42 ـ تاريخ العرب قبل الإسلام: للدكتور جواد علي (بغداد 1951 ـ 1955).
43 ـ تاريخ الكامل: لأبي الحسن علي المعروف بابن الأثير (مصر 1290هـ).
44 ـ تاريخ اللغات السامية: لإسرائيل ولفنسون (مصر 1929).

45 ـ تاريخ الموصل: للمطران سليمان الصائغ (مصر 1923 وبيروت 1928).
46 ـ تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء: لحمزة الأصفهاني (لبسيك 1848).
47 ـ تاريخ سورية: للمطران يوسف الدبس (بيروت 1893).
48 ـ تاريخ نصارى العراق: لرفائيل بابو اسحق (بغداد 1948).
49 ـ تاريخ كلدو وآثور: للمطران ادي شير (بيروت 1912 ـ 1913).
50 ـ تاريخ مختصر الدول: لابن العبري (بيروت 1890).
51 ـ تجارة العراق قديماً وحديثاً: لمعالي يوسف غنيمة (بغداد 1922).
52 ـ تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية: نشره المطران بطرس عزيز (بيروت 1909).
53 ـ جريدة الزمان: لتوفيق السمعاني (بغداد 1950).
54 ـ خزائن الكتب القديمة في العراق: لكوركيس عواد (بغداد 1948).
55 ـ خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية: للكردينال أوجين تسران، تعريب المطران سليمان الصائغ (1939).
56 ـ خلاصة تاريخ العراق: للأب انستاس ماري الكرملي (البصرة 1919).
57 ـ دليل الراغبين في لغة الآراميين: للمطران يعقوب اوجين منا (للموصل 1900).
58 ـ ذخيرة الأذهان: للأب بطرس نصري (الموصل 1905 ـ 1913).
59 ـ رحلة بنيامين: تعريب عزرا حداد (بغداد 1945).
60 ـ سير أو قصص الشهداء والقديسين «بالكلدانية»: طبعه الأب بيجان (لبسيك 1890 ـ 1895).

61 ـ شعراء النصرانية بعد الإسلام: للأب لويس شيخو اليسوعي (1890 ـ 1892).
62 ـ شعراء النصرانية قبل الإسلام: للأب لويس شيخو اليسوعي (1934).
63 ـ ضحى الإسلام: لأحمد أمين (مصر 1938).
64 ـ عصر السريان الذهبي: لفيكنت فيليب دي طرازي (بيروت 1946).
65 ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء: لابن ابي اصيبعة (مصر 1299هـ).
66 ـ فتوح البلدان: للبلاذري (ليدن 1866).
67 ـ فجر الإسلام: لأحمد أمين (مصر 1945).
68 ـ قاموس الكتاب المقدس: تعريب وتأليف جورج بوست (بيروت 1894).
69 ـ كتاب الإمتاع والمؤانسة: لأبي حيان التوحيدي (مصر 1939).
70 ـ كتاب التنبيه والإشراف: للمسعودي (ليدن 1893).
71 ـ كتاب الحماسة: للبحتري، نشره الأب لويس شيخو اليسوعي (بيروت 1910).
72 ـ كتاب الخراج: لأبي يوسف (مصر 1346).
73 ـ كتاب المخطوطات العربية: للأب لويس شيخو اليسوعي (بيروت 1924).
74 ـ كتاب تقويم البلدان: لأبي الفداء (باريس 1840).
75 ـ مجلة الضياء: للشيخ إبراهيم اليازجي في مصر.
76 ـ مجلة العراق للآثار العراقية القديمة في بغداد.
77 ـ مجلة المشرق للآباء اليسوعيين في بيروت.
78 ـ مجلة النجم: للبطريركية الكلدانية في الموصل.

79 ـ مجلة النور: لأخوية قلب يسوع الأقدس الكلدانية في بغداد.
80 ـ مجلة سومر: لمديرية الآثار القديمة العامة في بغداد.
81 ـ مجلة لسان المشرق: للمطران بولس بهنام (الموصل 1948).
82 ـ مجلة لغة العرب: للأب انستاس ماري الكرملي في بغداد.
83 ـ مختصر تاريخ العرب: للسيد أمير علي تعريب رياض رأفت (مصر 1938).
84 ـ مراصد الاطلاع: لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ليدن 1852).
85 ـ مروج الذهب: للمسعودي (باريس 1861 ـ 1877).
86 ـ مسالك الأبصار: لابن فضل الله العمري (مصر 1924).
87 ـ مشيحزخا «بالكلدانية»: طبعه الأب ألفونس منكنة (الموصل 1907).
88 ـ معجم البلدان: لياقوت الحموي (لبسيك 1866 ـ 1873).
89 ـ معجم «كنز» اللغة الآرمية: للمطران توما اودو (الموصل 1907).
90 ـ معجم ما استعجم: للبكري (غوتنجن 1877).
91 ـ معجميات عربية ـ سامية: للأب ا. س مرمرجي الدومنكي (لبنان 1950).
92 ـ مقدمة ابن خلدون (بيروت 1900).
93 ـ مناقب بغداد: لابن الجوزي، نشره الأستاذ محمد بهجة الأثري (بغداد 1342هـ).
94 ـ نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق: لمعالي يوسف غنيمة (بغداد 1924).

95 ـ وادي الرافدين مهد الحضارة: للسر ليونارد وولي، تعريب أحمد عبد الباقي (مصر 1948).
96 ـ وفيات الأعيان في أنباء الزمان: لابن خلكان (مصر 1310هـ).
97 ـ يزداندوخت الشريفة الأربيلية: للمطران سليمان الصائغ (الموصل 1953).

فهرس أسماء الكتب باللغة الأجنبية

1 - Assemani (J.C): Bibliotheca Orientalis. (Roma, 1719 — 1728).

2 - Baikie (J): The Life of the Ancient East. (London, 1923).

3 - Bell (G): Amurath to Amurath. (London, 1911).

4 - Brockelman (C): History of the Islamic Peoples (New York, 1947).

5 - Browne (L.E): The Eclipse of Christianity in Asia. (Cambridge, 1933).

6 - Budge (E.A.W.) Babylonian Life and History (London. 1925).

7 - Budge (E.A.W.): Rise and Progress of Assyriology. (London, 1925).

8 - Budge (E. A. W): The Historia Monastica of Thomas Bishop of Marga (London, 1893).

9 - Chabot (J.B): Synodicon Orientale ou Recueil des Synodes Nestoriens. (Paris, 1903).

10 - Charles (H): Le Christianisme des Arabes Nomades. (Paris, 1936).

11 - Christensen (A): L'Iran sous les Sassanides (Copenhague, 1944).

12 - Clay (A): Light on the Old Testament from Babel. (London, 1907).

13 - Delaporte (L): Les Civilisations- Babylonienne et Assyrienne. (Paris, 1923).

14 - De Lacy O'Leary: How Greek Science Passed to the Arabs. (London, 1948).

15 - Duval (R): La Littérature Syriaque. (Paris, 1907).

16 - Gibbon (E): Decline and Fall of the Roman Empire. (London; 1914).

17 - Graetz (H): History of the Jews. (London, 1891).

18 - Hilbrecht (H.V): Explorations in the Bibel Lands. (Edinburgh, 1903).

19 - Jastrow (M): The Civilization of Babylonia and Assyria (London, 1915).

20 - Labourt (J): Le Christianisme dans L'Empire Perse. (Paris, 1904).

21 - Langdon (S): Excavations at Kish. (Paris, 1924).

22 - Mackay (D): The Ancient Cities of Iraq. (Baghdad, 1926).

23 - Maspero (G): Histoire Ancienne des Peuples de L'Orient. (Paris, 1899).

24 - Rassam (H): Asshur and the Land of Nimrud. (New York, 1897).

25 - Scheil (J.V): Une Saison de Fouillrs a Sippar. (Le Caire, 1902).

26 - Tfinkdji (J): L'Eglise Chaldéenne Catholique Autrefois et Aujourd' hui. (Paris, 1913).

27 - Thompson (R.C): History and Antiquities of Mesopotamia, (Baghdad, 1918).

28 - Wigram (W): The Assyrians and their Neighbours. (London, 1929).

كتب مطبوعة للمؤلف

1 ـ الطريقة الاستقرائية في دروس قواعد العربية: ثلاثة أجزاء قررت وزارة المعارف العراقية سنة (1924 ـ 1925) تدريسها في الصفوف الثالثة والرابعة والخامسة من المدارس الابتدائية (بغداد 1924 ـ 1925).

2 ـ دروس قواعد العربية بالاشتراك مع خضوري بهنام فرجو: قد قررت وزارة المعارف العراقية عام (1928) تدريسه في الصفوف الرابعة الابتدائية (بغداد 1928).

3 ـ قواعد الصرف والنحو بالاشتراك مع عبد المجيد زيدان وتوفيق الدباغ: قد قررت وزارة المعارف العراقية سنة (1928) تدريسه لتلاميذ الصفوف السادسة الابتدائية (بغداد 1928).

4 ـ تاريخ نصارى العراق: منذ انتشار النصرانية في الأقطار العراقية إلى أيامنا (بغداد 1948).

5 ـ أمواج الروح: كتاب أدبي اجتماعي أخلاقي (بغداد 1951).

6 ـ مدارس العراق قبل الإسلام (بغداد 1955).

7 ـ فصول اجتماعية (تحت الطبع).